المقدّمات في أصول الدّين

بقلم

الدكتور إبراهيم بن محمّد البريكان

عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين بالدمّام

قسم الدراسات الإسلامية

للنشر والتوزيع

دار السنة

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار السنة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

الخبر: ص. ب. ٣٠٧٤٤ ـ الرمز البريدي ٣١٩٥٢

هاتف وفاكس ٨٩٤٦٧٤٩

المقدمات
في
أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي خلق فهدى، ووفق من شاء إلى الحق والهدى، والصلاة والسلام على من به إلى دين الحق هدى، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه ومن به اهتدى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من بالكتاب والسنة اقتفى وأشهد أن محمداً رسول رب العالمين شهادة من بآثاره اقتدى.

أما بعد: فإن أصول الدين هي قاعدة الإسلام العظمى وأساسه الكبرى ومعرفتها أوجب ما يجب في الدين وأولى ما تلتفت إليه همم أولي العلم والفرقان فهي حياة القلوب ولذة النفوس إذا ما تلقيت من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعلى ما عليه سلف أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إذ لا غذاء للأرواح المؤمنة أعظم من الوحي المنزل الذي به تزكو النفوس وتهتدى إلى الحق الذي هو سبب الحياة السعيدة في الدنيا والأبدية في الآخرة. هذا ولما رأيت ما لقيه كتابي المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة من القبول والحمد لله رب العالمين رأيت أن أنسج على منواله كتاباً مختصراً أتكلم فيه على أصول الإيمان على منهج أهل السنة والجماعة السلف الصالح. ولما كان المقصود به أن تمثل هذه

الدراسة مدخلاً لدراسة هذه الأصول رأيت أن أسميها «المقدمات في أصول الدين» وأجعلها دراسة مستقلة وإن كانت توافق المدخل في بعض مقاصدها هذا وأسأل الله أن تكون هذه الدراسة لها من القبول ما لسابقها وهو المدخل وأن يرزقني الإخلاص فيما كتب والتوفيق فيما رمت وقصدت إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. إبراهيم بن محمد البريكان
عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين
الدمام

بسم الله الرحمن الرحيم

العقيدة الإسلامية:

تعريفها: لغة هي الشد والربط والجمع ومنه عقد الحبل إذا شد وربط واعتقدت مالاً جمعته والعقيدة ما يدين به الإنسان وعقيدة حسنه سالمة من الشك.

وشرعاً: «العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من الأدلة اليقينية ودفع الشبهة عنها» واعتبر في دلالتها اليقين لأنه لا عبر بالظن.

فالعلم الاعتقاد الجازم المطابق للواقع والقواعد القوانين العامة والأصول الكلية التي ترجع إليها العقائد والمراد باكتسابها تحصيل العلم بطريق النظر في الأدلة من الكتاب والسنة فهو شامل لما ثبت بالسمع أو غيره وصحيح الاعتقاد وفاسده.

مقدمة في علم التوحيد

تعريفه:

التوحيد لغة: مصدر وحد توحيداً وهو الانفراد ومنه توحد برأيه تفرد به وأوحده الله جعله واحد زمانه.

شرعاً: هو إفراد الله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات وهو تعريف له بالمعنى المصدري.

والتوحيد كعلم شخصي على علم التوحيد «علم يقتدر به على إثبات العقائد الإسلامية الشرعية اليقينية بالأدلة الشرعية».

وهو بهذا الاعتبار بمعنى علم العقيدة إلا أن علم الاعتقاد يشمل الاستدلال على إثبات العقائد الإسلامية الخلافية بين طوائف الأمة.

وأما علم التوحيد فلا يدخل فيه إلا إثبات الحق بدليله.

موضوع علم التوحيد:

العقائد الدينية من حيث إثباتها بالأدلة الشرعية اليقينية.

ثمرته:

١ ـ سلامة عقائد القلوب وتخليصها من شوائب الشرك والكفر والإلحاد والنفاق.

٢ ـ تحقيق مقصد الوجود بعبادة الله سبحانه وتعالى وإثبات حق الألوهية له وما يتعلق بذلك من صفات كماله نعوت جلاله وربوبيته على خلقه.

٣ ـ تحصيل الثواب على ذلك في الدنيا والجزاء الحسن بالجنة في الآخرة كما قال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة على ما كان من عمله» متفق عليه.

حكم علم التوحيد:

١ ـ ما كان منه معلوم بالضرورة من دين الإسلام وهو معرفة معنى الشهادتين وشروطهما والإيمان بربوبية الله على خلقه وإثبات صفاته وأسمائه على الوجه اللائق بجلاله وعظمته والتصديق بخبره سبحانه وخبر رسله وما يتبع ذلك من التصديق الجازم بأركان الإيمان فهو فرض عين.

٢ ـ وأما التوسع في الاستدلال ورد الشبه والبحث عن دقائق العقيدة فهو فرض كفاية فيجب على من قدر على شيء منها ما لا يجب على من لم يستطع ذلك فيجب على كل أحد فيه بمقدار ما يستطيعه عقله ويمكن أن يتصوره ذهنه.

واضعه:

هو الله سبحانه وتعالى وأول من ألف فيه الإمام أبو حنيفة ألف كتابه «الفقه الأكبر» الذي ضمنه معتقده على خلاف في ذلك.

مصادره واستمداده:

من القرآن والسنة والإجماع والنظر في الأدلة مع أن عامته منصوص عليها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ متفق عليها بين علماء السلف الصالح.

مسائله:

هي القضايا الكلية النظرية الشرعية الاعتقادية.

غايته:

هو تحقيق العقيدة ودفع شبه المنكرين والفوز بسعادة الأبد في الدنيا بثواب الله وفي الآخرة بدخول الجنة.

منزلة علم العقيدة بين سائر العلوم:

يعتبر رأسها وأساس بناءها فهو منها بمنزلة الرأس من الجسد والقلب من البدن وذلك لشرف موضوعه على سائر موضوعاتها إذ هو يبحث في الإيمان بالله وما هو داخل فيه من الإيمان بالكتب والرسل والملائكة واليوم الآخر والقدر فهو حياة القلوب ولذة النفوس ومقصد الوجود لا طمأنينة ولا راحة ولا سرور إلا بتحقيقه.

ولذا لم يخرج ما في كتاب الله عن الكلام في العقيدة أو اتباعها أو جزائها أو ضدها واتباعه وجزائه.

مسالك العقيدة

المسالك جمع مسلك وهو الطريق فهي الطرق التي يتوصل عن طريق النظر فيها إلى العلم بالحقائق الاعتقادية.

وهي ثلاثة مسالك:

أولاً: المسلك الحسي:

ويراد به ما يدرك بالحواس الخمس وهي وسيلة بدائية عرفها الإنسان منذ وجوده وقد اتفق أرباب العقائد على سلوكها سواء كانت عقائد سماوية أو أفكار مادية عدا ما يذكر عن السوفطائية الذين ينكرون الحس.

قال ابن الجوزي: «هؤلاء القوم ينتسبون إلى رجل يقال له سوفطا زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها» وهم ثلاث مذاهب:

١ ـ المذهب الأول: العنادية «المعاندون» ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون أنها أوهام.

٢ ـ المذهب الثاني: اللاإرادية «أهل الشك» وهم ينكرون العلم بثبوت الشيء وعدم ثبوته فهم لا ينكرون الحقائق ولا يثبتونها فهم يشكون في ثبوت الأشياء ويشكون في ثبوت هذا الشك.

٣ ـ المذهب الثالث: العندية نسبة إلى عند وهم يزعمون أن الحقائق نسبية وليس هناك حقيقة مطلقة بل هي تابعة للاعتقادات مع إنكارهم لها.

«وهذا المسلك مركب من عمليتين»:

الأولى: تقوم بها أعضاء الحواس وهو إحساسها وهو نتيجة تأثير أشياء العالم الخارجي المستقل موضوعياً عن هذه الحواس.

الثانية: عملية تحويل هذه الإحساسات المحتشدة في وعينا إلى صور ذهنية يقوم الذهن فيها بدور التركيب بينها أو التجزئة أو الفرز أو الإضافة أو التجريد أو التعميم لإظهار ذلك في الصور المحسوسة، فأعضاء الحواس هي بمثابة الطريق التي بواسطتها تصل المعارف من العالم المحيط بنا إلى العقل البشري. وقد غلا قوم في هذا المسلك فكانوا على نقيض السوفطائيين وقالوا: ليس لنا طريق نستطيع بها معرفة أي شيء مما يحيط بنا سواها ولذا يفقد الإنسان المحروم من جميع أعضاء الحواس هذه المعرفة فيكون عاجزاً عن معرفة أي شيء من العالم.

وبنظرة متأملة في هذا الرأي نجد:

أولاً: أنه لا ينفي مصادر أخرى غير المسلك الحسي كالتجربة والمراقبة.

ثانياً: أن المحروم من الحواس يحس بما حوله من طريق الإدراك العقلي أو عن طريق إحساس الجسد فهو يدرك المسائل العقلية ويحس بالألم الذي يصيبه نتيجة للضرب والوخز ويشعر بالجوع والعطش بواسطة الإحساس الداخلي.

رابعاً: لدية مدركات معنوية لعجز أعضاء الحس من إدراكها كالحب والكراهية والبغض والحرية والحق والعدل.

المسلك الثاني: الاستنتاج العقلي:

العقل من نعم الله التي أنعمها على عباده، به يستطيع أن يكيف حياته في نشاطاتها المختلفة ويربط بين أنواع المدركات بروابط خاصة تناسب كل مدرك ثم يستنتج منها أحكاماً عقلية يستفاد منها في كثير من

مجالات الفكر والحياة وقد حدد المناطقة جمل المعلومات التي نملكها وهي نوعان:

الأول: المدركات الضرورية وهي التي تدرك ببداهة العقل ولا تحتاج في إدراكها تصور أجزائها فهي لا تحتاج إلى الاستدلال ولا إقامة بينه من خارج الذهن على وجودها.

الثاني: المدركات النظرية: وهي ما يكسبه الذهن نتيجة استنباط واستنتاج عقلي أو ربط بين محسوسات أو بين معقولات.

فالاستنتاج العقلي هو الربط بين ما هو معقول وما هو معقول للتوصل إلى نتيجة عقلية. وقد انقسم الناس في تصورهم في هذا المسلك وكونه طريقاً لإثبات العقائد إلى ثلاث مذاهب:

١ ـ المذهب الأول: مذهب المدرسة العقلية والفلسفية:

هؤلاء عظموا العقل وأكبروه وأعطوه فوق حقه فجعلوه هو المبدأ وهو الغاية والمرجع والنهاية وردوا به ما عداه من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية وحملوا كل ما لا يوافق آراءهم على معاني تتفق مع مفاهيمهم العقلية.

٢ ـ المذهب الثاني: مذهب الأشعرية:

قول من أهمل دلالة العقل على المدركات والمعارف وقال: لا دليل إلا الشرع وإن كانوا حكموا العقل وردوا نصوص الكتاب والسنة في جوانب موافقة لأهوائهم.

٣ ـ المذهب الثالث: قول المدرسة السلفية:

نسبة للسلف الصالح الذين هم الصحابة وتابعيهم وتابع تابعيهم إلى يوم الدين وهو قول ابن تيمية وابن القيم ومن وافقهم فإنهم وقفوا من العقل موقفاً وسطاً فقالوا: إن للعقل إدراك وله فهم والعقل المستنير بالشرع والمهتدي بهدى النبوة لا يمكن أن يخالف الشرع

وموازين العقل الصحيح لا تخالفها النصوص الصريحة وإن حصل في ذهن باحث شيء من التعارض فهو لضعف ذهنه وعدم كمال فهمه ولكنهم قالوا: إن العقل لا يمكن أن يدرك المطالب الإلهية على وجه التمام والكمال من كل وجه ولا على سبيل التفصيل بل ذلك من وظيفة النصوص الشرعية المتلقاة من وحي الله لرسله وأنبيائه كما أنه لا يترتب على إدراك العقل ثواب ولا عقاب لا في الدنيا ولا في الآخرة فذاك كله منوط ببعثة الرسل.

وهذا التصور هو الذي يوافقه حكم الشريعة وذلك لأن المطالب العلمية الشرعية ليست متوقفة على إقرار العقل ولا تصوره بل يجب على كل أحد التسليم والإيمان بما جاء عن الله وعن رسوله سواء سلم العقل به أم لا مع العلم بأن الشريعة لا تأتي بما ينافي مقاييس العقل الصحيح وإن كانت تأتي بما يحار فيه ولا يستطيع فهمه وإدراكه إذ هو تابع لمن يحمله في خصائصه وهو الإنسان الذي من طبيعته الضعف الذاتي والفقر الذاتي وهذا يعني أن ما أصاب العقل من ضعف فهو من طبيعته وما أصابه من كمال فهو من الله واهب الكمال الذي يعتبر الكمال واجباً له:

المسلك الثالث: مسلك الخبر الصادق:

والخبر الصادق هو ما وافق الواقع والحقيقة.

وهو يشمل أخبار الله وأخبار الرسول ﷺ عن كل ما يتصل بعقائد القلوب وهذا المسلك هو المسلك الأعظم وهو الطريق والسبيل لمعرفتها على وجه الكمال والتفصيل إذ هو رجوع لصاحب الشرع في بيان ما شرعه لعباده وهو نوعان:

الأول: خبر الله في كتابه «ومن أصدق من الله قيلا» وقوله: «ومن أصدق من الله حديثاً» وهي قسمان:

أ ـ إخبارات شرعية عقلية فهي من جهة ورودها في القرآن شرعية ومن جهة سيرها على أقيسة العقل الصحيحة وموازينه المستقيمة عقلية كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ب ـ إخبارات مجردة من موازين العقل كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

الثاني: خبر الرسول المعصوم ﷺ:

فهو وحي من الله له من القوة في الحجة والإثبات ما لأخبار الله وهذه الأخبار لا يجوز معارضتها بشيء من أدلة العقل أو أقيسته ويجب التسليم بها قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ويعلم صدق الخبر من أربعة وجوه:

الوجه الأول. ما يكون علم صدقه ضرورياً لنفس الخبر من غير نظر كالأخبار المتواترة لفظاً ومعنىً فقط على الأصح.

الوجه الثاني: ما كان موافقاً للضروري وهو ما يكون متعلقه معلوماً لكل أحد من غير كسب وتكرر نحو الواحد نصف الاثنين.

الوجه الثالث: ما كان أمراً نظرياً كخبر الله وخبر رسوله وخبر كل الأمة لأن الإجماع حجه فكل واحد من هؤلاء الثلاثة علم بالنظر والاستدلال عن طريق الأدلة.

الوجه الرابع: ما يكون غير ضروري وغير نظري لكنه موافق للنظر وهو الخبر الذي علم متعلقه بالنظر كقولنا العالم حادث لأنه ليس أمراً فطرياً ولاعلم بالمحسوسات ولكن من الأدلة عرفنا أن العالم كله مخلوق والنظر هو التأمل في الدليل للكشف عن وجه دلالته.

حجية ما يفيده الخبر النبوي

الأخبار ثلاثة هي:

أولاً: التواتر

ولا خلاف بين أهل العلم في حجتيه في العقائد وعليه فيكفر من جحد ما ثبت به.

ثانياً: الحديث المستفيض:

وهو ما كثرت طرق روايته ولم يبلغ حد التواتر وزاد على الحديث المشهور بأن رواه أكثر من ثلاثة فهو حجة عند أكثر أهل العلم في باب الاعتقاد.

ثالثاً: الآحاد

وهو ما لم يبلغ حد المتواتر ففيه خلاف:

أ ـ جمهور المتكلمين على عدم حجتيه في باب الاعتقاد وعدم إفادته للعلم واليقين.

ب ـ جمهور السلف على أنه حجة في باب الاعتقاد ويفيد العلم واليقين وقد حكى الإمام ابن عبد البر الإجماع على ذلك أي إجماع السلف ـ لا سيما إذا تلقته الأمة بالقبول كأحاديث الصحيحين البخاري ومسلم وغالب ما يروى من أحاديث الآحاد في باب الاعتقاد من هذا النوع واختلف أهل العلم في كفر من جحد ما ثبت به.

أ: جمهور المتكلمين على عدم كفره إذا جحد ما ثبت بخبر الواحد.

ب: وقال بكفره إسحاق بن راهويه.

ج: قال بن حسان من الحنابلة إن أنكر الإسراء والمعراج والصفات كفر وإن أنكر إفادته للعلم فقط فلا يكفر.

د: قال ابن تيمية: «الذي عليه الأصوليون من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله إن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقول تصديقاً وعملا به يوجب العلم وهو الذي عليه أكثر الفقهاء وأهل الحديث والسلف وأكثر الأشعرية وغيرهم.

موقف الإسلام من هذه المسالك

أولاً: موقف الإسلام من المسلك الحسي:

إن من مسالك الشرع التي استعملت في الكتاب والسنة الأمر بالنظر في المحسوسات كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وقال جل ذكره: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ فهذه الآيات تلفت نظر الإنسان إلى التبصر في أحوال الكائنات وما يجري فيها من أنواع التغيرات وما أسدله الله عليها من النظام والتناسق والأحكام ليتوصل إلى الإيمان بما يجب لله من توحيده والذل له.

كما أنه ذم من لم يستعمل حواسه فيما خلقت له ومن أجلها نظره فيما يدور حوله من حوادث كونية يتوصل به إلى مقصد خلقه وهو عبادة الله بتوحيده والإيمان به فقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ

أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾.

إلا أنه لا يدل استدلال الشرع بهذا المسلك على تعينه دون غيره من الأدلة فضلاً عن أن يكون هو أكملها دلالة وأجلّها قدراً بل هناك من الأدلة ما هو أقوى منه وأعظم إفادة للمطلوب ويعتبر هذا المسلك من أبسط الطرق إلى الذهن فإن المحسوسات أقرب إلى إقناع المشاهد من المعقولات التي تحتاج إلى تصور جزئياتها لذا كثيراً ما يدرك الإنسان بحسه ما لا يدركه بموازين عقله وذلك لصعوبة تكوين الأقيسة العقلية.

لذا فإن الشرع قد جاء بأسماء ما فيه الآخرة مقاربة ومشابهة لما في الدنيا وإن كانت الحقيقتان متباينتين كما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾. وقال جل ثناءه: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس في الدنيا من الجنة إلا الأسماء».

وقال عليه الصلاة والسلام: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». متفق عليه.

إلا أن الشريعة لم تعتمد من دلالة الحس إلا ما يدل على اليقين فلا عبرة بالوهميات من الحسيات سواء كان ذلك في باب الحس الظاهر وهو ما يعرف بالملاحظة الخارجية أو فيما يتعلق بالحس الباطن وهو ما يعرف بالملاحظة الداخلية أو الاستبطان.

قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

موقف الإسلام من العقل

العقل نعمة عظيمة من نعم الله، إذا ما استخدم في طريقه الذي أراده خالقه وبارئه بلا غلو ولا جفاء إذ الحق وسط بين باطلين فهو آلة التكليف ومناط الفهم عن الله ورسوله والنظر الصحيح القائم على الموازنة بين الأدلة.

لذلك كله فإن العقل لا يخلو حاله من أمرين:

أحدهما: ما يدركه على سبيل التمام والوضوح مع موافقة الشريعة فلا إشكال في قبوله.

الثاني: ما يعجز عن إدراكه أو يتحير في أمره مرجعه الشرع.

ولما كان العقل لا يستطيع إدراك العقيدة على سبيل التفصيل كان المرجع في هذا هو نصوص الشرع المحكم إلا أنه لا يخلو من إدراك إجمالي لحقائق العقيدة كما أنه يدل على صدق ما ورد به الشرع وأنه حق فإن تعارضت النصوص والعقل فإما أن يكون النص ضعيفاً أو موازين العقل فاسدة إذ لا يتعارض نص صريح مع عقل صحيح والعقل الصحيح هو المهتدي بنور الشريعة ولذا فقد اشتمل القرآن الكريم في آياته على كثير من مقاييس العقل التي استعملت لإثبات الحقائق العقدية إلا أنه لا يستطيع أن يدرك الكثير من المغيبات لأن عمدته ما يختزن في الذاكرة من ظواهر الحس فهو ناقص بنقصه وقد جاء في القرآن من أقيسته ما يفيد اليقين لوضوح مقدماته وشهرتها ومن هذه الأقيسة ما يلي:

أولاً: قياس الأولى وهو المثل الأعلى الذي قال عنه رب العالمين: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. ومعناه: أن كل كمال وجودي ممكن لا شائبة للنقص فيه اتصف به المخلوق فالخالق أوجه حيث أنه أعطى الكمال فلا يكون خالياً عنه. وكل نقص تنزه المخلوق عنه فالخالق أولى بالتنزه عنه.

ثانياً: دليل التمانع في الألوهية:

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وتركيب القياس أن يقال: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولكن ليس فيهما آلهة إلا الله فلم تفسد أو لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا لكنهما لم تفسدا فليس فيهما إله إلا الله ولم يأت التمانع في الربوبية لوضوحه.

ثالثاً: التقابل بين الوجود والعدم:

إذ الوجود ضد العدم والعدم ضد الوجود ولأن الوجود شيء والعدم ليس بشيء في الواقع والحقيقة فلا ينشأ الشيء من لا شيء ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ومعنى من غير شيء أي: من العدم.

وتركيب القياس: أن يقال إما أن يخلقوا من غير شيء وهذا باطل ضرورة دلالة الأثر على المؤثر أو يكونوا خلقوا أنفسهم وهذا ممتنع إذ فاقد الحياة لا يعطي الحياة ففاقد الشيء لا يعطيه أو يكون لهم خالق وهو الله سبحانه وتعالى وهذا هو الموافق لبديهيات العقل.

رابعاً: امتناع اجتماع النقيضين:

والنقيضين هما ما يستحيل العقل اجتماعهما وارتفاعهما.

ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

وتركيب القياس: أن يقال إما أن يكون الإلهان مستاويين في كل شيء وهذا جمع بين النقيضين فيمتنع ضرورة دلالته على ضعفهما فلا يصلحان للألوهية وإما أن يتفاوتان فالأكمل منهما هو الإله وبذلك يثبت المطلوب وهو أن الله إله واحد.

خامساً: امتناع الجمع بين الضدين:

وهما يستحيل في العقل اجتماعهما فقط ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾. وتركيبه: أن يقال لو كان للعالم خالقين لظهرت إرادتهما فيه ولترتب على ذلك اختلال نظام الكون لكن ذلك لم يحصل فلا بد أن يكون خالق واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

هذا ولقد اهتمت العقيدة الإسلامية بالعقل وذلك من وجوه:

أولاً: إن الله لا يخاطب إلا ذوو العقول والألباب كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

ثانياً: إنكاره سبحانه على من لم يستعمل عقله وفكره في تدبر آياته. كما في قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ وقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

ثالثاً: إنكاره التقليد في الباطل وأمره بالاستدلال على الحق لأن التقليد ينافي العقل ويعدم أثره وما خلقه الله له من النظر والتأمل كما قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.. ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾. وقال جل شأنه آمراً بالنظر الصحيح: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

هذا وقد حددت الشريعة للعقل مساراً فلا مكان له.

١ ـ إذا طلب كنه الذات الإلهية.

٢ ـ كنه الصفات الإلهية.

٣ ـ سر القضاء والقدر.

٤ ـ إدراك حقائق الغيب.

٥ ـ الروح.

ومما ينبغي أن يعلم أنه لا حاجة إلى موازين العقل بعد نزول الشرع فإليه المبدأ والمعاد في قضايا الاعتقاد.

موقف الإسلام من الخبر الصادق

الخبر الصادق هو ما وافق الواقع بحيث وجد في خارج الذهن مدلول النسبة الكلامية أو ما يصدقه من الواقع.

والإسلام قد أمر بالصدق وحث عليه ونهى عن ضده كما في قوله ﷺ: «ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».

وجعل الكذب من صفات المنافقين فقال عليه الصلاة والسلام: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب...».

وأخبر الله عن نفسه بأن كلامه صدق كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ ووصف رسوله بالصدق فقال سبحانه: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾. وامتدحه به فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾.

وبناء على ذلك فقد بنى الإسلام أخباره على طلب الخبر الصادق وأمرنا بالتثبت في الأخبار كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾.
وعليه فالخبر الصادق ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الكتاب الكريم ـ القرآن ـ وهو ثابت بالتواتر فهو مفيد لليقين.

النوع الثاني: السنة النبوية وهي أنواع:

أ ـ السنة المتواترة فهي مفيدة لليقين.

ب ـ السنة المشهورة وهذه تفيد اليقين عند أكثر العلماء من جميع الطوائف المنسوبة للأمة المحمدية.

ج ـ الفرق بينها وبين السنة المتواترة أن الكثرة المفيدة لليقين تكون في جميع طبقات السند بالنسبة للمتواتر. وأما في السنة المشهورة فيكفي شهرتها بعد الطبقة الأولى من السند وهم الصحابة.

د ـ السنة الآحادية التي حفت بالقرآئن فهي مفيده لليقين عند الأكثر أيضاً.

هـ ـ السنة الآحادية التي رواها واحد ولم تشتهر ولم تحف بالقرآن فالصحيح أنها مفيدة لليقين للوجوه التالية:

أولاً: إن نصوص القرآن الكريم لم تفرق بينها وبين غيرها من أنواع السنة كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

فأمر الله بالرجوع إلى السنة مطلقاً بلا فرق بينها، والرد على الرسول هو الرد إلى سنته ﷺ وجعل ذلك من علامة الإيمان به والإيمان باليوم الآخر وجعل النفس الراجع إليها خيراً وأحسن تأويلاً كما هو الحال في الرجوع إلى القرآن فيما أشكل معناه منه وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾.

فأمر باتباع قضاء رسول الله ﷺ بلا تفريق بين ما ثبت بالتواتر أو السنة المشهورة أو الآحاد وجعله موازياً لقضاء الله.

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن

تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾.

ونهيه عن قبول الفاسق بواحد دليل على أنه يأمر بقبول العدل الواحد فإن خبره مفيد لليقين.

وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجد».

وقال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي». ولم يفرق بين أنواع السنة.

وهكذا فإن نصوص الكتاب والسنة قد عمت ولم تفرق بين الأدلة في إفادة العلم والعمل سواء كانت في العقيدة أو غيرها بلا مخصص وما كان هذا حاله فيحمل على عمومه فتكون أخبار الآحاد حجة كالقرآن والسنة المتواترة في العقائد.

ثانياً: من المعقول أن ما جاز على المثيلين جاز على الآخر إذ نصوص الكتاب والسنة عموماً متساوية في ورودها من صاحب الشرع فتكون حجة والتمييز بينها تفريق بين متفقات وهو ممنوع عقلاً.

ثالثاً: إجماع السلف الصالح ونقصد بهم أهل العصور الفاضلة المعدلة من صاحب الشريعة كما قال تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

وقال ﷺ: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...».

ولأن إجماعهم هو الذي ينضبط حيث تفرق العلماء بعد ذلك في الأمصار فصار نقل إجماعهم صعب وإن كان ممكناً ولأنهم شهدوا التنزيل وسمعوا الوحي وحضروا عند الرسول ﷺ فهم أعلم بالله ورسوله ممن بعدهم ولأن الدواعي قائمة عندهم على طلب الاعتقاد كما قامت على طلب فقه الفروع بل هي بالنسبة للعقائد أعظم وقد اعتبر الله إجماع الأمة على حكم شرعي وإجماعهم أولى من إجماع غيرهم كما قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

وعليه فكل ما تقدم حجج قطعية مفيدة للعلم واليقين في باب العقائد فلا يجوز بعد ذلك أن تعارض بحجج عقلية ولا يقع بينها التعارض لكن قد يقع التعارض في ذهن بعض الناس لشبهة كدرت صفو ذهنه وفكره والأدلة الشرعية عندنا غير مسؤولة عن ذلك بل يجب عليه أن يطرح ما فيه ذهنه ويسلم لها كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

طريقة الشرع
في إثبات مدلول الأخبار

تنوعت طريقة الشرع في إثبات مدلول الخبر بحسب حال المخبر عنه وأثره وهي كما يلي:

أولاً: يقبل في إثبات هلال رمضان شاهد واحد وفي الفطر شاهدان.

ثانياً: يكتفى في الأموال بشاهد ويمين المدعي.

ثالثاً: يطلب في إثبات دعوى الزنا أربعة شهود.

رابعاً: يطلب في إثبات الدعاوي غير ما تقدم شاهدان.

خامساً: يطلب في اللعان أربع شهادات مؤكدات مصحوبة بلعن أو غضب.

سادساً: يطلب في القسامة خمسون يميناً من المدعى عليه.

سابعاً: درء الحدود بالشبهات فإذا حدثت أي شبهة فإنها تفسر لصالح المتهم.

أقسام العقيدة الإسلامية

تنقسم العقيدة الإسلامية من جهة موضوعاتها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الإلهيات:

وهي مشتقة من لفظ الإله والمراد بها ما يتعلق بالله ذاتاً وأفعالاً وأسماء وصفات فهي توحيد الله ربوبية وألوهية وأسماء وصفات وأفعالاً. وإنما سميت بالإلهيات لأن هذا الموضوع وهو تقرير ألوهية الله على خلقه هو أهم مطالب الرسالات كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

القسم الثاني: النبوات:

نسبة للنبوة والمراد بها ما يتعلق بإثبات نبوة الأنبياء ورسالاتهم ووحي الله لهم وما تبع ذلك من بحث طرق ثبوتها وصحة إنزال الكتب المنزلة من الله عليهم.

ومن أهم ما يتعلق به إثبات نبوة سيد بني آدم محمد ﷺ وقيام الحجة برسالته على الثقلين الجن والإنس ونسخ رسالته لسائر الرسالات قبله.

القسم الثالث: الكونيات:

نسبة إلى الكون والمراد بها ما يتعلق بالكون من جهة أحداثه وخلقه وما تبع ذلك من دراسة سنن الله القدرية فيه ويدخل فيه الإيمان بالملائكة والجن.

القسم الرابع: الغيبيات:

نسبة للغيب وهو ما استتر عن الحس بحيث انقطع علمه عن بني آدم إلا من جهة خبر الله ورسوله فإذا أخبرا عنه خرج عن مسمى الغيب وذلك كحقائق اليوم الآخر من الجنة والنار والحساب والعرض على الله وعلم الساعة التي لا يُعَلِّمُها الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.

أقسام العقيدة الإسلامية بالنسبة لما تضاف إليه

وهي من جهة ما تضاف إليه ستة أقسام وهي أركان الإيمان:

١ ـ الإيمان بالله.

٢ ـ الإيمان بالرسل.

٣ ـ الإيمان بالكتب.

٤ ـ الإيمان بالملائكة.

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر.

٦ ـ الإيمان بالقضاء والقدر.

أقسام العقيدة الإسلامية بالنسبة لمتعلقها

وهي بنسبة لمتعلقها ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عمل القلب كالمحبة والتوكل والخشية والخوف.

القسم الثاني: عمل الجوارح كالسجود لله والركوع له والطواف بالبيت عبادة له.

القسم الثالث: عمل اللسان كقول شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، والحمد والدعاء والاستغاثة.

أقسام العقيدة من جهة ذات رب العالمين وصفاتها

وهي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يجب لله كإثبات أسمائه وصفاته وأفعاله.

القسم الثاني: ما يستحيل عليه كإثبات أن له شبيهاً أو مثيلاً أو نداً أو شريكاً أو صاحبة وولداً.

القسم الثالث: ما يجوز عليه كخلق المخلوقات إن شاء خلقها وإن شاء لم يخلقها ومحبته وغضبه وغيرها من صفات فعله التابعة لمشيئته وإرادته.

خصائص العقيدة الإسلامية

الخصائص جمع خصيصة وهي الصفة البارزة المميزة.

وخصائص العقيدة الإسلامية هي صفاتها البارزة المميزة لها عن سائر الملل.

وأبرز هذه الخصائص ما يلي:

أولاً: الشمولية:

فإن العقيدة الإسلامية هي عقيدة الخلافة في الأرض ولذا فلا بد وأن تشمل جميع المعطيات الحيوية للبقاء فهي العقيدة التي كتب الله لها البقاء إلى قيام الساعة قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي منصورة حتى يأتي أمر الله».

ونعني بالشمولية: الموسوعية في المعنى والتطبيق فهي من جهة المعنى تشمل التصور الكامل للقضايا الكبرى التي ضل في تصويرها الكثير من الناس.

فتشمل: التصور حول الإله والحياة (الكون) والإنسان.

أولاً: فالخلق خلق الله والله مدبره فهو الذي حدد مساره ووضع نظامه على سبيل الإجادة والإتقان قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ

إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾.

فإنك وإن كررت النظر لتتحسس عن ثغرة من الثغرات في هذا الكون فإنك تتعب نظرك بذلك فإنك لن تجد شيئاً بل إن الكون بما فيه من عوامل البقاء شاهد من شواهد الفطرة الإلهية والعظمة الربانية والإنسان من جمل المخلوقات التي خلقها الله إلا أنه زاده عليها تكريماً وتعظيماً بما أعطاه من أسباب القوامة على معطيات الكون ليستثمروها في صالح البشر وهو لا يعد بعد ذلك أن يكون مخلوقاً مربوباً ضعيفاً لا حول له ولا قوة إلا بالله رب العالمين، وإن من مقتضيات هذه الألوهية والربوبية استكانة الإنسان أمام ربه وذلته جهة خالقه ممتثلاً لأمره وتاركاً لنهيه ومنظماً للحياة بإذنه وأمره الديني الشرعي.

ثانياً: والله هو معبوده الحق الذي يجب أن يصرف جهده وقوته في سبيل أداء عبادته وشكره على نعمه التي لا تحصى أبداً ولا تحصر عدداً، إلهاً متصفاً بصفات الكمال التي لا نقص فيها من جميع الوجوه ومنزه عن ما يضاد كماله المقدس قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

فعلاقة الكون بالإنسان علاقة سخرة كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾. فالكون هو مسرح حياته وما فيه مسخر لضمان بقائه وتحقيقه لخلافة الله في الأرض وعلاقتهما بالله علاقة الخالق الرحيم الذي أتقن خلقه وتفضل على عباده فأقام خلقه بما أعطاهم من عناصر البقاء وأنعم به عليهم من فيض كرمه وعظيم عطائه.

ثالثاً: وتشمل: العقيدة الإسلامية عمل القلب والجوارح واللسان:

فهي عقيدة القلب تنمي الوجدان وتكون فيه عناصر الترفع عن الذلة والانكسار لجميع القوى وتبعث فيه عناصر الكرامة والترفع عن الدنايا فتحرر الفكر من الأوثان والعقل من التقليد الأعمى والقلب من أن تدخله الإرادات الفاسدة والعقائد الباطلة فتضيء فيه مشاعل الهداية وأنوار اليقين، فيزهر بنور الإيمان ويبرد برد اليقين فتقوى فيه قوة التمييز والعلم فلا يقبل الشبهات ولا ترسخ فيه الضلالات لأن ما فيه من النور يعشى كل شبهة ويقضي على كل شك فلا مكان فيه للأهواء ولا محل فيه للشهوات الفاسدة كما قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

وتنطلق الجوارح: انطلاقاً يواكب أعمال القلوب فلا ذلة ولا استكانة لأي طاغوت من طواغيت الأرض بل هي تابعة لعزة القلب وعلوه، فيكون لكل عمل نبيل غاية ونهاية وهي رضى الله بعمارة الكون بشريعته، فلا عمل لها إلا العبادة الخالصة لله التي تمثل حياة المؤمن بالله في جميع حركاته وسكناته فهي لا تتصور جزء من أجزاء الحياة إلا والعبادة تحكمه، فتنقلب بذلك سائر الأعمال الدنيوية إلى أعمال دينية هي مكسب يضيء به العبد المؤمن صحيفة أعماله فهي متوازنة مع بعضها في انسجام متكامل نحو القيام بخلافة الله في أرضه.

هذا الأمر الذي ينطلق به اللسان معلناً عن ما في القلب ومشهراً لانصياع الجوارح نحو تحقيق مقصد الألوهية والربوبية لله فهو دائم الذكر لله لاهجاً بحمده مبيناً عن شكره لربه على نعمه العظيمة وأعظمها هدايته إلى الحق.

وهو إذ يعبر عن الإيمان وكمال اليقين يدعو إليه بالحجة والبرهان مستخدماً سبيل البيان الصحيح وأصول الجدل الحق في تقرير العقيدة الصحيحة ممتثلاً لأمر ربه الذي قال فيه سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ

سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ ﴾.

وهو إذ ينطلق في ذلك إنما يعبر عن ثورته على الطاغوت وأهله متبرأ من الولاء إلا لله وحزبه كما أعلنها إبراهيم عليه السلام هو وأتباعه حيث أخبر الله عنهم بقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الآية.

وبذا يعلم أن العقيدة الإسلامية تربط بين الروح والجسد والعمل والعاطفة والقول وبين ذلك كله وتنشىء من ذلك عالماً يسوده النظام والتناسق بين أفراد المخلوقات ثم تربطها بخالقها عن طريق ربط جميع ما في الوجود لتحقيق مقصد الخلق قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

وبذلك تكون شملت التصور نحو الكون والإنسان والإله والتصور المصحوب بالعاطفة الفياضة كما أنها ربطت بين أجزاء الإنسان بذاته الذي هو عنصر العمارة والبناء في الحياة، بل إن كل نظم الحياة مرتبطة بالعقيدة فإن المسلم يعملها مراعياً فيها الإخلاص لله رب العالمين الأمر الذي يدعوه لإتقان عمله كما تربى في نفسه جانب المراقبة لله قال ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». فهي شاملة لحياة المسلم الخاصة والعامة ولما كانت الحياة الدنيا هي دار العمل والابتلاء والآخرة هي دار الجزاء والقرار ربطت العقيدة الإسلامية بين هاتين الحياتين وجعلت كل منهما مكملة للأخرى فالدنيا مزرعة الآخرة ومكان العبادة والإنسان خلق لعمارتها والقوامة على معطياتها ومن الواجب عليه أن يحكمها بأوامر الله الشرعية فيطبق أحكام الله في أرضه ويرفع أعلام انصياعه لحكمه مؤثراً في ذلك ما عند الله والدار الآخرة، فغايته هي الآخرة إلا أن ذلك لا يجعله مهملاً

لدنياه ولا مؤثراً لها على أخراه بل وسطاً بين الأمرين فيعيش في الدنيا عيشة عامرها ويعيش للآخرة عيشة من يطلبها.

وهو بذلك لا يعزل دينه عن دنياه بل يربط بين عقيدته في الآخرة وعقيدته في الدنيا برباط وثيق من الإيمان الذي يجعل لكل عمل دنيوي مغزى عظيماً ومرمى كريماً. إذ هو يرى أن الحياتين تكمل كل منهما الأخرى من جهة الجزاء والعمل ومن جهة المبدأ والغاية فيكسبه ذلك جهداً في العمل وحرصاً على الثواب فيسعى في طلب المأمور والبعد عن المحظور كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾.

وكما قال تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

ثانياً: اليسر والسهولة:

فالعقيدة الإسلامية عقيدة سهلة ميسرة ويسرها من جهتين:

الأولى: كونها قليلة التكليف.

الثانية: أنها سهلة الفهم والإدراك.

أما قلة تكاليفها:

فإنه من الممكن لكل أحد أن يعد ما تضمنته بيسر وسهولة بحيث يكون من الميسور على أي إنسان أن يحصي ما تشتمل عليه فهي إيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى. ولو أردت أن أشرحها لكفت شرحها بضع كلمات تحصر مقاصدها وتبين مرادها.

وأما سهولة فهمها:

فإنها خالية من كل تعقيد لفظي ومعنوي فليست قوالب فلسفية أو

موازين منطقية يطلب منك فك اصطلاحها وبيان كيفية تركيب أقيستها وتصور مقدماتها.

ولا عقائد يصعب إدراك علاقات مفرداتها ببعضها بل إن فيها من سهولة المعنى والتركيب ما يفهمه كل أحد ومن هذا المنطلق كان الله يأمر بالتدبر في آياته كما قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾.

وإن كان قد دخل في إطار المباحث العقدية شيء من قوالب علم الكلام والفلسفة فإن ما تضمنته من ذلك ليس جزءاً منها ولا تتوقف معرفتها عليه والإيمان بها على معرفة مصطلحاته ولا يدخل في مقاصدها لأنه من البدع المحدثة في أساليب سياقها وكيفية تقريرها، ولذلك أنكر السلف على من أدخل علم الكلام في العقيدة وحرموا النظر في كتب علماء الكلام لما فيها من خلط بين حق عقيدة الإسلام وباطل علم الكلام ولما في ذلك من إلباس العقيدة الإسلامية غير لباسها وصياغتها في غير التراكيب المناسبة لمعانيها التي لا تؤثر المصطلحات في جوهرها وإذا استعملت في باب الرد على بعض الطوائف فهي داخلة في حيازتها وصيانتها للرد على من خالف حقائقها بما يناسب فهمه وإدراكه، فليس فيها من النصرانية شيء يحتاج إلى فك ألغازه ولا من تحريفات اليهودية ما لا تقبله العقول ولا تطمأن إليه النفوس ولا من المذاهب المادية التي تحتاج إلى السفسطة والتعسف في سياق البراهين عليها ولوى عنق الحقيقة حتى تدل عليها فهي قريبة من النفس فما أن تسمع حقائقها حتى تستهويها وتنجذب النفس مضطرة لتأخذها بيسر وسهولة جارية مع طبيعة النفس والشعور.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾. فحكم على كتابه الكريم بالتسهيل للفهم ومنه آيات العقائد فتكون ميسرة الفهم والعلم والعمل.

ثالثاً: الثبات:

ويقصد به أن حقائقها قد بلغت من الإتقان واكتمال البيان ما لا يؤثر فيها تغير الأحوال أو اختلاف الأنظار فهي عقيدة قد أحكم بناؤها ونضجت أفكارها فليس من عقائدها ما هو قابل للنقصان وليس في أفكارها ما هو قابل للتطور حسب ما تقتضيه أدوار التاريخ ونضج البشر، وذلك لأنها عقيدة تصلح لكل زمان ومكان ومعتقداتها تواكب ركب الحضارة أياً كانت إذا ما قامت على أساسها وبنيت على تصوراتها وهذا ما يجعلها حقيقة مطلقة.

والحقائق المطلقة غير قابلة للتطور فلا نسبية فيها تستلزم اختلاف أنضار معتنقيها في تصور أفكارهم فلا يختلف تصورها من مسلم إلى آخر ولا من دولة مسلمة إلى دولة مسلمة أخرى، وإن حصل شيء من ذلك فمنشؤه الخطأ في تصور حقائقها عند بعض المسلمين وإلا فهي في ذاتها لا تحتمل إلا معنى واحداً ولا تنتج إلا فكراً مفرداً يتناسب مع ذلك التصور ولا يقال أن ما وقع بين طوائف الأمة من الاختلاف في تصور بعض حقائقها إنه راجع إليها بل هو راجع إلى عدم الاهتداء بهدي الله وهدى رسوله ﷺ.

وما عليه سلف الأمة الذي هو المنبع الصافي لتلقي حقائق العقيدة الإسلامية.

فالسبب: في اختلاف التصور بين الأمة هو الانحراف عن منهج الله ومنهج رسوله ﷺ ومنهج سلف الأمة الذي هو نابع منهما وراجع إليهما.

رابعاً: السلامة من التغيير:

وإذا تقرر أن من خصائصها الثبات فإن من لوازمه ألا تتغير حقائقها فلا تتأثر بأي مؤثر كان نظراً لأنها كما تقدم حقائق مطلقة جوهرها واحد والحق فيها لا يتعدد والاجتهاد لا يدخلها فليست

خاضعة إلى نظر جماعة معينة وليس لأحد سلطة في أن يضع لها الأفكار والمعتقدات ويترك منها ما يراه ويأخذ منها ما يشاء بل إن عقائدها سالمة من التغيير وذلك لعدة أمور:

أولاً: لسلامة مصادرها من التغيير والتبديل قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ومصادرها الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح والعقل الصحيح المهتدي بالكتاب والسنة.

ثانياً: إنها لا تخالف العقل الصحيح حتى لا تكون مقبولة لديه ومن ثم يحتاج إلى تغييرها أو بعض حقائقها حتى تستقيم وموازين الفكر المستقيم.

ثالثاً: موافقتها للفطرة والفطرة ليست خاضعة للتغيير فما بني عليها كذلك.

رابعاً: لأن حقائقها يقينية لا تعتمد على الظن وما تهوى الأنفس فيكون لكل أحد ما يوافق ظنه وهوى نفسه.

خامساً: لأنها لا تتعارض ومعطيات الفكر وحقائق العلم بل هو دليل صحتها كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾.

وما زال العلم بتطوره الهائل يثبت للناس حقائق عقيدتنا الإسلامية مما يزيد المؤمن إيماناً ويقيناً ولو فرض تعارضها لكانت حقائقها عرضة للتغيير والتبديل ولو فرض ووجد ما يعارضها منه فهو راجع إلى فساد موازين العلم فمخالفتها دليل فساده أو فساد تصور العالم نفسه.

خامساً: موافقتها للفطرة البشرية والعقل السليم:

إن حقائق هذه العقيدة ما إن تعرض على النفوس المجردة من

لوثة الباطل الخالية من الهوى إلا وتجدها تنصاع إليها وتحبها وتعتنق كل ما جاءت به وهو ما قال عنه الحديث النبوي «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجساه». ووجه دلالته على أنها هي الفطرة: إنه لم يقل أو يسلمانه لأن العقيدة الإسلامية هي الفطرة وليست نوعاً من الانحراف الفكري العقدي قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾.

فهي إذا سكنت القلب انفسح لها وانشرح وأضاء نورها أرجاءها فحصلت له سكينة النفس وطمأنينة القلب ونور البصيرة والتمييز وقوة العلم والمعرفة بالحق وينطفىء نورها في القلب وتذهب آثارها فيه بمقدار ما داخله من الانحراف.

ولأنها مقصد الخلق والوجود كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾. وقال سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ولذا فإن النفس تجد فيها ضالتها المنشودة وحاجتها المفقودة فما أن ترد عليها حتى يدخلها السكون والطمأنينة كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

فلا اضطراب ولا تناقض في أفكارها ولا تعارض بين حقائقها قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

ولذا فإن العقل: إذا نظر فيها وافقت أقيسته الصحيحة وموازينه السليمة فلا يجد فيها ما يعارض المعقولات ولا ما يخالف المنطق السليم بل إنها لتضع للعقل موازينه الصحيحة وأفكاره المستقيمة فهي عقيدة التأمل والنظر فهي بذلك تغذى روافد العقل وتكمل نظرته لكل شيء بل إنها تنكر على من يعطل العقل عن وظيفته وهي التأمل والنظر وتطلب من معتنقيها

الترفع عن التقليد في الباطل الذي هو السبب في ضلال العقل وفساد نظرته.

فتنكر على من قلد نفسه الرجال والأهواء كما قال تعالى حكاية عن المشركين: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾. بل إن القرآن الكريم قد عرض الكثير من قضايا الوثنية الجاهلية فنقدها النقد العلمي الصحيح وأثبت فسادها عن طريق العقل السليم وموازين الفكر المستقيم انظر إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وهكذا يسير القرآن في معالجة كثير من قضايا العقيدة بل إنه لا يقبل إلا أن تكون العقيدة عن قناعة ذاتية ومعرفة يقينية فلا ينفع فيها الإكراه كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.

ويمضي القرآن فيستدل باللازم على الملزوم قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

سادساً: الوسطية:

الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. ووسطية هذه الأمة مستلزمة للعدالة والخيرية. ولذا فإن مضمون هذه الوسطية استلزم شهادتهم على الناس يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

وهذه المنزلة مقتضية لتعديل الله لهم ومن هذا كانت الوسطية علامة بارزة وخصيصة ظاهرة لجميع معطيات هذه الأمة بما فيها

عقيدتها ومعنى الوسطية في العقيدة: كونها حق بين باطلين باطل الجفاء وباطل الغلو فلا إفراط ولا تفريط ويتبين ذلك في الأمور التالية:

أ ـ الوسطية في الإيمان بالمحسوسات:

فلا تنكر المغيبات لأن الحواس تعجز عن العلم بها ولا تغلو في المحسوسات حتى تجعلها الطريق الوحيد للمعرفة والعلم فهي تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وإن لم تدركها الحواس ولا تنفي طرق المعرفة الأخرى كالعقل والفطرة والخبر الصادق كما أنها لا تفرط في الإيمان بالمحسوسات حتى تأمر بعبادة القوى والأشخاص وتجعل لها أصناماً وتماثيلاً تعبد من دون الله.

ب ـ الوسطية في النظر إلى العقل:

فلا تغلو فيه حتى ترد به أخبار الله وأخبار رسوله ﷺ إذا ما عجز العقل عن تصور شيء مما جاءت به كما أنه لا تهمل العقل بل تضعه في الموضع المناسب له فتغذْي روافده ولا تضيع الوقت فيما ليس داخل تحت حدوده واستطاعته فهي وسط بين من غلا فيه وجفا.

ج ـ وسط في تصوراتها حول الذات الإلهية:

فليست كاليهودية تنسب إلى الله ما لا يليق به من السنة والنوم والاستراحة وتشبهه بالمخلوقات والمحدثات وتعبد معه عزيراً وتقول إنه ابن الله. ولا كالنصرانية في اعتقادهم النبوة لله والتثليث فيه فتأمر بعبادة إله واحد له صفات الكمال والجلال منزه عما يضاد كماله المقدس وليست كالدهرية والطبائعيين في نفيهم للإله وقولهم فيما أحكاه الله عنهم في كتابه الكريم حيث قال تعالى: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾. ولا تقول بتعدد الآلهة كالمجوسية والثانوية والمانوية.

د ـ وسط في باب أسماء الله وصفاته:

فهي تثبتها له كما هي واردة في أخباره سبحانه وأخبار رسوله ﷺ

فلا تمثيل كتمثيل اليهود والرافضة والمشبهة ولا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل كفعل المتكلمين والدهرية والفلاسفة النفاة للإله وصفاته فهي وسط بين تمثيل هؤلاء وتعطيل هؤلاء كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

هـ ـ وسط في باب أسماء الدين:

وهي تلك الألفاظ التي قرر الله ورسوله مدلولها ورتب عليها أحكاماً كفاسق ومؤمن وعاصي ونحوها. فهي وسط بين **القائلين** بكفر صاحب الكبيرة في الدنيا والخلود له في النار في الآخرة أو القائلين أنه بمنزلة بين الكفر والإيمان وبين **القائلين** بأنه مؤمن كامل الإيمان فكما لا تنفع مع الكفر طاعة فلا تضر مع الإيمان معصية.

فهو في العقيدة الإسلامية فاسق في الدنيا وأما في الآخرة إن مات على كبيرة لم يتب منها تحت مشيئة الله إن شاء عذبه عليها وإن شاء غفر له كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾.

و ـ وسط في باب النبوة:

فلا تسبهم ولا تتنقصهم كتنقص اليهود ولا تستحل دماءهم ولا تغلو فيهم غلو النصارى حتى تجعل عيسى ابن الله بل هم بشر ممن خلق الله معصومون خصهم الله بالوحي والرسالة أصفاء واختياراً منه وتفضلاً منه وتكرماً على عباده وإقامة للحجة عليهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾.

ز ـ وسط في باب القضاء والقدر:

فيثبتون القدر ولا ينفونه كالقدرية كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ ولا يغلون كغلو الجبرية فيسلبون عن الإنسان إرادته واختياره ولا يمنعان علم الله بذلك ولا أن تدخل أفعاله تحت خلق الله ومشيئته فلا يحصل في ملك الله إلا ما يشاء وأن ذلك قد كتب في

اللوح المحفوظ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾. فالمشيئة الأولى رد على الجبرية النافين لإرادة الإنسان والثانية رد على القدرية النافين لمشيئة الرحمٰن.

ح ـ وسط في باب الاعتقاد:

بين من يقبل الظنون وبين من يقبل الأوهام بل لا بد من اعتبار اليقين كما قال تعالى: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ ﴾ فذم من اتبع الظن فلا تقليد للأباء والأجداد في الباطل ولكن يؤخذ العلم بالعقيدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة المحمدية.

ط ـ وسط في باب الإيمان بالله:

فهو في العقيدة الإسلامية يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فهم وسط بين المرجئة الذين يقولون إن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص فلا يضر ذنب بعد الإيمان والعمل ليس من الإيمان وبين الوعيدية القائلين بكفر صاحب الكبيرة أو أنه بمنزلة بين الكفر والإيمان وهو في الآخرة خالداً في نار جهنم حال المنافقين والكفار فهؤلاء جفو في باب العمل وأولئك غلو فيه.

ك ـ وسط في النظرة لأصحاب رسول الله ﷺ:

فلا يسبون أحداً منهم كالناصبة الذين ناصبوا أهل البيت العداوة ولا كالرافضة الذين غلو في آل البيت وسبوا الصحابة وكفروهم إلا نفر قليل منهم فهم عرفوا لأصحاب رسول الله ﷺ حقهم ولآل بيته فضلهم فلم يرضوا سب واحد منهم لحب الآخر ولا جعلوه من لوازم حب أحد منهم وسكتوا عما جرى بينهم من الخلاف واعتذروا لهم وأحسنوا الظن به.

ل ـ وسط في باب معاملة أعداء الله:

فلا يكرهون على الإيمان والدخول في الإسلام أحداً لكنهم يبغضونهم ويعادونهم ولا يحبونهم ولا يظهرون ولا يضمرون خلاف

ذلك إلا أنهم لا يجيزون لأحد من المسلمين أن يعتدي على أحد في مال ولا نفس ولا عرض ما دام محافظاً على ذمته وعهده فإن كان حربياً ولا عهد له في الحرب المعلنة على الكفر وأهله إلا أنهم مع ذلك لا يستبيحون الزنا بنساء معسكر الكفر ولا يقتلون ولا يبيحون قتل من لم يأذن الله بقتله من المقاتل المقبل غير المدبر.

حاجة الإنسان إلى العقيدة الإسلامية

تتبين الحاجة إلى العقيدة الإسلامية من وجوه:

أولاً: لأنها العقيدة التي تمثل الفطرة من صفائها ونقائها فلم يدخلها ما دخل غيرها من التحريف.

ثانياً: لأنها العقيدة المخلصة للإنسان من عبودية المبادىء والأشخاص فلا وثنية فيها على الإطلاق ولا ذل ولا قهر إلا لله.

ثالثاً: لاشتمالها على التصور الصحيح نحو الإله (الله) والكون والحياة وعلاقتها ببعضها.

رابعاً: لأنها العقيدة التي تجعل لحياة الإنسان معنى ومغزى فتبدو الحياة جميلة سعيدة لأنها ذات مقصد متجدد يتجدد مع الإنسان ولا ينتهي أبداً وهذا ما يدعو الإنسان للسعي إلى الأمام اتجاه البناء للحياة بجميع معطياتها لا بدافع الواجب فقط ولكن بدافع طلب الثواب والجزاء من الله والخوف والخشية منه.

خامساً: لأنها العقيدة التي تربط بين الإنسان والإنسان باسم أخوة الإيمان والإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. هذا الأمر الذي يجعل بني البشر مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم أمة واحدة لها رسالتها في الوجود.

سادساً: لأنها تهذب آنية الإنسان وأنانيته فتجعله عضواً منتجاً ومستهلكاً في آن واحد فلا أنانية على حساب الآخرين ولا ذلك لهم

إلا بمقدار ما عندهم من الحق الذي أنزله الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

سابعاً: لأنها العقيدة التي تنشر الأمان والسكينة والطمأنينة النفسية فلا اضطراب في كيان الإنسان نفسه ولا تعارض بين إرادات أفراد المجتمع المسلم لأن الكل يذل لله دون سواه والخوف لا يكون إلا منه فلا ضار ولا نافع إلا هو ولا يصاب أحد بشيء إلا بإذنه ولأن أصابه شيء من ضر فهو الذي يكشف السوء وليس بيد الخلق شيء من ذلك.

ثامناً: لأنها تربي وازع الضمير الإنساني الذي يبنى على مراقبة الله له في السر والعلن فلا تخفى على الله خافية ولا يستر عنه شيء فيكون ذلك أدعى للردع والدفع بجلب الخير وإيصاله لهم ولو قدر أن الإنسان وقع في إيذاء الناس فسرعان ما يحس بالذنب والتأثم فيرهبه ذلك من عقاب ربه ويدعوه لجبر ما تسبب في كسره.

تاسعاً: أنها توحد البشر نحو غاية واحدة هي عبادة الله سبحانه وتعالى الأمر الذي يجعلهم موحدي الاتجاه والتشريع فتتوحد بذلك موازين الأخلاق والأعمال والفضائل فلا نسبية في الأخلاق ولا في الأعمال ولا في الفضائل ولا في الشرائع.

عاشراً: لأنها سبب الثبات عند الشدائد فلا تضجر من وقائع القدر ولا قنوط ولا سلبية لكنها صبر وثبات وسعي لتغيير الواقع وطلب الأصلح والأكمل هذا الذي يولّد في النفس الرضى بالمقدور والصبر على المكروه والثبات في الشدائد والقوة والعزيمة أمام الكربات.

ركنا العقيدة الإيمان والعمل

للعقيدة ركنان هما:

أولاً: الإيمان القلبي:

ثانياً: العمل وهو يشمل نطق اللسان وتعبيره عما في القلب وعمل الجوارح وهما يمثلان المظهر التطبيقي للإيمان. قال ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». فأشار بصلاح الجسد إلى العمل بنوعيه وبصلاح القلب إلى الإيمان.

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾. فقرن بين الإيمان القلبي وعمل الجوارح وقول اللسان وتعبيره.

الركن الأول
الإيمان

تعريفه: لغة: يدور معناه على أمرين:

١ ـ التصديق ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي بمصدق.

٢ ـ الوثوق لأنه إفعال من الأمن وهمزة إفعال إذا دخلت على الفعل المتعدي فإما أن تعديه إلى مفعول ثان وإما أن تجعله لازماً على معنى الصيرورة.

فالأول آمنته فلاناً أي: جعلته آمناً منه، وآمنته غيري أي: جعلت غيري آمناً منه.

وكلا المعنيين اللغويين معنيان حقيقان للفظ الإيمان، فالإيمان وضع أولاً لجعل الإنسان آمناً من أمن ثم نقل لمعنى يناسبه وهو التصديق فإنك إذا صدقت المخبر فقد أمنته من تكذيبك إياه وتعديته بالباء لتضمينه معنى الاعتراف فإنك إذا صدقت شيئاً فقد اعترفت به.

والمعنى الثاني: أي الوثوق منقول من الإفعال اللازم وآمن معناه صار ذا أمن فيتعدى بالباء ويقال: آمن به أي وثق به لأن الواثق بالشيء أمن منه وفي هذه الحالة لا يحتاج إلى التضمين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا أطلق على التصديق فهو على المغيبات خاصة فلا يقال آمنت في جواب من قال السماء فوقنا وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾. فقيد الإيمان بالغيب لأنه لا يتعلق إلا به والإيمان تصديق السامع للمخاطب واثقاً بأمانته معتمداً على ديانته وأصل الإيمان تبجيل

الذات وتعظيمها ثم استعمل في التصديق مطلقاً ويتعلق بالذات والأخبار فإن تعلق بالذات أتى بالباء في صلته وإن تعلق بالأخبار فبالكلام لتضمنه معنى الإقرار وعليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي بمقر لنا ولم يقولوا بنا لأن المراد التصديق بخبرهم دون ذواتهم وجاء في مسلم: «ما من نبي إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر». أي: آمن معتمداً عليه».

تعريفه شرعاً:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أقوال السلف وأئمة السنة في تفسيره، فتارة يقولون قول وعمل، وتارة يقولون هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح. فإذا قالوا قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً «ثم قال» والمقصود هنا أن من قال من السلف الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال ثم قال: «والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل عبد الله التستري عن الإيمان ما هو فقال قول وعمل ونية وسنة لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة».

القول المختار:

والمختار من التعاريف هو كونه قول وعمل قول باللسان والقلب وعمل القلب واللسان والجوارح.

شرح التعريف المختار

١ ـ فقول اللسان هو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بلوازمها قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ وقوله: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ وقوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» وحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» وفي حديث وفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان بالله وحده قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا: الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا من المغنم الخمس».

٢ ـ عمل اللسان وهو ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والاستغفار والاستغاثة والاستجارة ونحوها مما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

وقــال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

وقــــال: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾.

وقال: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾﴾.

وقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

٣ ـ قول القلب وهو تصديقه وإيقانه بأن يرد في قلبه ما أجراه على لسانه من شهادتين. كما قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾.

وقــال: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ وقــال: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾. وقــــال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾.

٤ ـ عمل القلب وهو النية والإخلاص والمحبة والتوكل والخوف والخشية ونحوها ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾.

وقال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾.

وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾.

وقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات». وحديث: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه». وحديث: «أحبوا الله من كل قلوبكم». وحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

٥ ـ عمل الجوارح وهو ما لا يؤدى إلا بها كالقيام والركوع والسجود كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾. ويدخل فيه الحج والصلاة والزكاة ونحوها.

الفرق بينه وبين الإسلام

الإسلام لغة وهو الانقياد ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يقوده إليه. وشرعاً: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأن لا يعبد الله إلا بما شرع كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾.

وقال: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ﴾.

وهو يشمل الدين كله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ وقوله ﷺ: «أفضل الإسلام إيمان بالله». وعليه فللإيمان حال إطلاقه شرعاً حالتان:

الأولى: إطلاقه مفرداً غير مقترن بالإسلام فحينئذٍ يراد به الدين كله كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾. وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (١٥)﴾.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾.

الثانية: أن يطلق الإيمان مقترناً بالإسلام وهما عندئذٍ لفظان متباينان كل منهما يطلق على معنى لا يدل عليه الآخر فالإيمان عقيدة القلب والإسلام عمل الجوارح ويدل عليه قوله ﷺ في دعاء الجنازة: «اللهم من أحييته فأحييه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان». وحديث: «الإسلام علانية والإيمان في القلب».

ويدل عليه أيضاً حديث جبريل حيث عرف الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا».

زيادة الإيمان ونقصانه

الذي عليه السلف الصالح أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص». وقال سفيان الثوري: خالفنا المرجئة في ثلاث: نحن نقول الإيمان قول وعمل وهم يقولون قول بلا عمل ونحن نقول يزيد وينقص وهم يقولون لا يزيد ولا ينقص ونحن نقول أهل القبلة عندنا مؤمنين أما عند الله فالله أعلم وهم يقولون نحن عند الله مؤمنون.

أما الأدلة على زيادة الإيمان، **فمن كتاب الله**:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾.

ومن السنة: حديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله». وحديث: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

وحديث: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان».

وحديث: «من رأى منكم منكراً فإن استطاع أن يغيره بيده فليفعل فإن لم يستطيع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

ومن العقل:

١ ـ أنه لا يجب في أول أمر الإسلام ما يجب بعد اكتمال نزول القرآن «فلو آمن الرجل بالله وبالرسول ظاهراً وباطناً ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمناً بما وجب عليه من الإيمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع عنه مثل إيمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل بها بل إيمان هذا أكمل وجوباً ووقوعاً» كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

٢ ـ إن من طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكمل ممن عرف ما وجب عليه والتزمه وأقر به لكنه لم يعمل بذلك كله.

٣ ـ إن العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض فيتفاضل الناس في المعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الرب وكلامه ويتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها.

٤ ـ إن التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم وعليه فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به.

٥ ـ إن أعمال القلوب كلها من الإيمان والناس فيها متفاضلون فالناس متفاضلون في محبة الله وخشيته ورجائه.

٦ ـ إن الأعمال الظاهرة مع الباطنة من الإيمان والناس يتفاضلون فيها.

٧ ـ ذكر الإنسان بقلبه ما أمره الله به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون غافلاً عنه أكمل ممن صدق به وغفل عنه كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾.

٨ ـ قد يكذب الإنسان بما لا يعلمه شرعاً وينكره فإذا أقام الذليل عنده على صدقه آمن به وهذا قدر زائد على التصديق بخبر الله ورسوله المجمل.

«فمن علم ما جاء به الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو أكمل ممن لم يكن كذلك».

الأدلة على نقصان الإيمان:

من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وقوله جل شأنه: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾.

وقوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)﴾.

من السنة:

قوله ﷺ: «وأدناها أماطة الأذى عن الطريق».

قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطيع فبلسانه فإنه لم يستطيع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وحديث «والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكوُنون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات».

وحديث أبي سعيد الخدري: «رأيت الناس وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي». وفيه «وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله قال: الدين».

من العقل:

١ - أن ذلك ليس مما يستحيل عقلاً فلا يمتنع.

٢ - إنه إذا قبل الزيادة فقبوله للنقص أولى.

٣ - كما أنه يمكن حصول الكفر بعد الإيمان فما الذي يمنع نقص الإيمان بالذنب بعد الكمال.

٤ - إن النبي ﷺ وصف بعض أصحابه بأوصاف كقوله لخالد: أنك إمرؤ فيك جاهلية مع تحقق إيمانه.

٥ - إن المؤمنين متفاوتون في تمسكهم بشعب الإيمان فمنهم المقل والمكثر ولا معنى لنقص الإيمان إلا القله في الأعمال الصالحة.

٦ - أن معرفة الله متفاوته بينهم فكلما ضعفت كان ذلك نقصاً وكلما كملت كان ذلك كمالاً.

٧ - أن إيمان من مات قبل شرائع الإسلام انقص ممن لم يمت حتى كملت شعائر الدين.

أركان الإيمان

وهي أجزاءه من جهة متعلقة أو بحسب موضوعه وما يضاف إليه: وهي كما يلي:

١ ـ إيمان بالله.

٢ ـ إيمان بالرسل.

٣ ـ إيمان بالملائكة.

٤ ـ إيمان بالكتب.

٥ ـ إيمان باليوم الأخر.

٦ ـ إيمان بالقدر.

الإيمان بالله

وهو الإقرار والاعتراف بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره المتصف بصفات الكمال والجلال ذو الأسماء الحسنى المستحق للعبودية والألوهية على خلقه فجميع أنواع العبادة له سبحانه فلا شريك له ولاند له لا في ربوبيته ولا الوهيته ولا في أسمائه وصفاته.

أنواعه:

وأنواعه ثلاثة وهي:

أولاً: الإيمان بربوبية الله على خلقه وهو يشمل:

أ ـ الإيمان بوجوده.

ب ـ الإيمان بخلقه وتصرفه وتدبيره لجميع الخلائق.

وقد قامت الأدلة من الكتاب والسنة والعقل والفطرة على ذلك وإليك التفصيل:

أولاً من كتاب الله:

وبراهين ذلك من كتاب الله متعدده ومتكاثرة ونحن نذكر على سبيل الاختصار ما يفي بالغرض:

أولاً: دليل الخلق والايجاد.

وقد جاءت في القرآن الكريم عدد من الآيات تفصح عن هذا

المعنى كقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

ثانياً: دليل التأمل والنظر.

كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

ثالثاً: دليل الاتقان:

كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

رابعاً: دليل التغير:

كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ﴾.

خامساً: دليل الإلزام العقلي:

كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾. فلم

يكونوا هم الخالقون ضرورة احتياجهم لمن ينقلهم من العدم إلى الوجود ولم ينشؤوا من العدم ضرورة كون العدم ليس شيء فيحدث منه الوجود ولأن بين العدم والوجود من التناقض في المعنى مما يمنع أن يكون أحدهما أوجد الآخر.

ومن السنة:

قوله ﷺ: «أول ما خلق الله القلم فقال: له اكتب فقال: ما أكتب فقال ما هو واقع حتى تقوم الساعة».

وحديث «خلق الله آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وخلق العرش بيده».

وحديث «خلقت عبادي حنفاء».

ومن العقل:

أولاً: أن الأثر لا بد له من مؤثر والصنعة لا بد لها من صانع.

ثانياً: أن الاتقان يدل على الحكمة والحكمة صفة فلا بد وأن تدل على حكيم وهو الله.

ثالثاً: أن الموجود أما أن يكون قديم وأما أن يكون غير قديم ولا بد وأن يكون غير القديم محتاج في ايجاده إلى القديم والعالم ليس بقديم فلا بد وأن يكون من ايجاد قديم.

رابعاً: أن المحدث يحتاج إلى محدث والعالم محدث فلا بد له من محدث.

خامساً: أن العلم إما أن يكون أوجده العدم وهذا ممتنع ضرورة معناه فلا يحصل منه وجود وأما أن يكون أحدث من وجود فلا يقال لما كان موجوداً أنه أحدث إلا إذا أثر فيه مؤثر فنقله من العدم إلى الوجود.

سادساً: إما أن يكون العالم موجباً بذاته وإما أن يكون ممكن والأول باطل ضرورة سبقه بالعدم فلا بد وأن يكون ممكن وما كان كذلك فهو محتاج في وجوده لموجباً بذاته يوجده.

سابعاً: أن العالم متغير وما كان كذلك فلا بد له من مغير وهذا من ضرورة الاسم.

ومن الفطرة:

١ ـ أن النفوس إذا أصيبت بشدة وضنك أخلصت الطلب من الله.

٢ ـ أنها لو خيرت بين الأنفع لها هل هو الإيمان بالله ربا وبين ألا تؤمن لكانت تؤثر الإيمان بالله.

٣ ـ أنه ما دعى داع إلا توجه إلى الله.

٤ ـ أن الإيمان بالله يحل الكثير من معضلات التي تعتبر لغزا بدونه.

ثانياً الإيمان بالألوهية:

وهو منسوب للإله وهو مشتق من إله يأله والأله هو المعبود المألوه الذي خضعت له القلوب شوقاً ومحبة وتعظيماً ومخافة ورغبة ورهبة.

وتوحيد الألوهية: هو توحيد الله في عبادته بألا يصرف شيء من أنواع العبادة لغيره سبحانه فهو الذي يستحقها دون سواه.

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

وهو على سبيل الإجمال والاختصار توحيد الله بأفعال عباده مثل الصلاة والزكاة والحج والصيام والنذر والذبح والتوكل والاستعانة

والاستغاثة والاستجارة والمحبة والخوف والرجاء والخشية ونحوها. وما يتضمنه هذا النوع من التوحيد هو معنى لا إله إلا الله. إذ معناها لا معبود حق إلا الله لا كما يقول بعض المبتدعة: «أنه القادر على الاختراع والخلق» فإن هذا المعنى مما أقر به المشركون كلهم به فهو مدلول توحيد الربوبية.

وهذا التوحيد هو الذي من أجله أرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع الجهاد واستبيحت الأموال والفروج والدماء.

وهو التوحيد الذي كانت الخصومة فيه بين الرسل وأممهم.

ولذا فإن كتاب الله من أوله إلى آخره ما هو في الحقيقة إلا دعوة له إذ ما جاء فيه إما بيان له أو إيضاح لجزائه أو بيان لصفات أهله وكرامته على الله.

ولقد اهتم الرسول ﷺ به غاية الاهتمام فبينه أكمل البيان وجد في حيازته وصيانته مما يفسده أو يكدر صفوه أو يبطله أو ينقص كماله.

الأدلة من القرآن على الإيمان بالألوهية:

وقد تكاثرت الأدلة وتوافرت في الدلالة عليه نذكر منها:

- قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.
- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.
- وقوله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾.
- وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

- وقـــال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.
- وقال: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٧٤)﴾.
- وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.
- وقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾.
- وقال: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ (١٤)﴾.
- وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾.
- وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ (٢)﴾.

وقد اتخذ القرآن في الاحتجاج عليه طريقين:

أحدهما: اجمالي.

والثاني: تفصيلي.

القسم الأول الطريق الاجمالي:

وذلك بيان الأدلة على ثبوته ووجوده من حيث هو من غير نظر لتفاصيل حقائقه العقيدية وقد بينه من وجوه نذكر منها:

أولاً: أنه دين الرسل كلهم كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾.

وقد تقدم في الآيات السابقات ما يدل على هذا المعنى.

ثانياً: الاستدلال بدليل التمانع في الألوهية.

ومضمونه أنه لو كان هنا آلهة غير الله لفسدت لكنها لم تفسد فلا إله إلا الله. كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)﴾.

وتفصيله أن يقال لو كان هناك آلهة غير الله تعالى: لبانت آثار إرادتهم في الخلق ولو بانت لحصل الاضطراب والفساد في العالم لكن الفساد لم يحصل لعدم تعدد الإرادات. النتيجة إذا ليس فيهما غير الله. وقد جعل بعض المبتدعه هذا الدليل من قبيل التمانع في الربوبية ولا يصح لعدة أمور:

١ ـ أنه عبر بألهة ولم يقل أرباب.

٢ ـ أن ذلك بعد خلق السموات والأرض فقد استقر خلقهما فلا علاقة له بتوحيد الربوبية.

٣ ـ أنه لو كان فيهما وهما موجودتان سواه لفسدتا.

٤ ـ أن ذلك فرض فساد بعد الوجود فلا علاقة له بتوحيد الربوبية.

ثالثاً: الاحتجاج بإقرارهم بتوحيد الربوبية على لزوم أيمانهم بتوحيد الألوهية وهو من قبيل الاستدلال باللازم على الملزوم ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧)﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٧].

وقوله سبحانه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾ [النمل: ٦٠].

رابعاً: الاحتجاج بضعف معبوداتهم على عدم صلاحيتهم للألوهية ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦].

- ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

- وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء: ٤٣].

خامساً: نفي التعدد في الآلهة ومنه:

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

وصورة الدليل أنهم لو كانوا آلهة حقاً لطلبوا الانفراد بالألوهية وذلك لم يحصل فكان النتيجة أن الله إله واحد.

وقوله سبحانه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾.

وصورة البرهان أن يقال لو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل فعندئذ لا يخلو الأمر من أحد فرضين:

الفرض الأول: أن يرضى بالشركه وهذا محال إذ هو على فرض الجميع بين النقيضين.

الفرض الثاني: أن لا يرضى فإما أن يتغالبا فيغلب أحدهما فيكون هو الإله الحق.

وأما أن يتكافئا وهو فرض للجمع بين النقيضين وعدم غلب أحدهما دليل تساقط الاثنين ضرورة ظهور آثار الإرادتين في العالم وهذا ما لم يحصل.

القسم الثاني: الطريق التفصيلي:

وذلك بمناقشة كل جزئية قادحة في توحيد الألوهية منفردة. كأن يتعرض لعبادة الجن فيبطلها وعبادة الكواكب فيبين زيفها وعبادة الأصنام فيوضح فسادها ونحو ذلك ومنه:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].
- وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾.
- وقوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
- وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾.
- وقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾.
- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

وضد الإيمان بالألوهية:

الشرك بالله وهو عبادة غير الله مع الله أو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وهو نوعان:

الأول: شرك أكبر وهو اتخاذ العبد من دون الله ندا يسويه برب العالمين يحبه ويخشاه كخشية الله ويلتجىء إليه ويدعوه ويخافه ويرجوه ويرغب إليه ويتوكل عليه أو يطيعه في معصية الله أو يتبعه في غير مرضاة الله وفيه يقول ربنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾.

- وقوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

- وقال تعالى: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾.
- وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.
- وقال عليه الصلاة والسلام: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً».

ويستوى في هذا الشرك من أظهره من مشركي العرب ومن أخفاه من المنافقين.

- كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

الثاني: الشرك الأصغر:

وهو يسير الرياء الداخل في تحسين العمل المراد به وجه الله قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال الرياء ثم فسره بقوله ﷺ: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه».

وإن مما يجب أن يعلم أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فإن من الإيمان بالربوبية الإيمان بإن الله هو الإله المعبود المستحق للعبادة واللازم هو ما خرج عن المعنى لكنه من مقتضياته وأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية على معنى أنه جزء معنى توحيد الألوهية إذ التضمن دلالة الشيء على جزء معناه.

والشرك الأكبر في الألوهية قسمين:

القسم الأول: شرك تعطيل مثل شرك فرعون المتضمن انكار الخالق.

القسم الثاني: شرك التمثيل مثل شرك اليهود والنصارى بدعواهم أن عزيراً ابن الله والمسيح بن الله وأطاعتهم الرهبان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله.

وشرك التعطيل ثلاثة أنواع:

١ ـ تعطيل المصنوع عن صانعه كقول المجوس بأن النور إله وأنه خالق الخير.

٢ ـ تعطيل الله عن كماله المقدس إما بنفي صفاته أو إثباتها على وجه التمثيل.

٣ ـ تعطيل الله عن عبادته وذلك بعبادة غيره معه.

النوع الثالث من أنواع الإيمان بالله:

هو الإيمان بالأسماء والصفات:

تعريفه: هو الإقرار والاعتراف بكلِ ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله من الأسماء والصفات وإثبات ذلك كله على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته إثباتاً لا تمثيل فيه ولا تكييف.

وإفرادها كما جاءت مؤمنين بها ومصدقين على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

أركان الإيمان بالأسماء والصفات:

أركانه ثلاثة هي:

١ ـ التصديق بها بالإقرار والاعتراف الجازم الذي لا شك فيه.

٢ ـ نفي التمثيل فلا تماثل صفاته شيئاً من صفات خلقه.

٣ ـ نفي التكييف وهو العلم بكنه الصفة وحقيقتها وماهيتها كما يتصف بها رب العالمين.

طريقة القرآن في باب الإسماء والصفات:

طريقته هي الإثبات المفصل والنفى المجمل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. فأجمل في النفي وفصل في الإثبات وما ورد على خلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾. وقوله سبحانه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ

يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾. فيجاب عنه من ثلاثة أوجه:

أولاً: أن هذه الآيات جاءت في مقابل حوادث خاصة تحتاج للتنصيص على موضوعها ليكون ردها أقوى وأوضح.

فآية الكرسي رد على اليهود والنصارى القائلين بأن الله أخذته سنة ونوم وآية الإخلاص جاءت للرد على المشركين الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يصف لهم ربه ونسبوا له البنات وقالوا: إن الملائكة بنات الله.

ثانياً: أن ذلك على خلاف الغالب وجاء لإثبات ما يضاده من الكمال ففي آية الكرسي لإثبات كمال الحياة وفي آيات الإخلاص لإثبات قيوميته وكمال قدرته ووحدانيته.

ثالثاً: وهو أضعفها أن ذلك من قبيل تنوع طرق الكمال فكما يأتي إثباته عن طريق الإثبات المفصل والنفي المجمل كذلك يأتي بإثبات مجمل كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ ونفي مفصل كالآيات المتقدمة الذكر.

طريقة القرآن في إثبات توحيد الأسماء والصفات

وقد استعمل القرآن عدداً من الطرق في ذلك منها:

أولاً: ما جاء في القرآن الكريم من إثبات الحمد لله كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾.

ثانياً: ما جاء في القرآن من أن له المثل الأعلى كما في قوله جل جلاله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

ثالثاً: ما جاء في كلام الله من إثبات معاني أسماء الحسنى كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

رابعاً: ما جاء من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ وتفسير ابن عباس له بأنه المستحق للكمال وهو السيد الذي كمل سؤدده والشريف الذي كمل في شرفه والغنى الذي كمل في غناه...

وما تقدم من دلالة القرآن هي الدلالة العامة وأما الدلالة الخاصة وهي دلالته على كل صفة بعينها فهو كثير في كتاب الله ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾.
- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.
- قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾.
- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.
- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾.
- قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.
- قوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.
- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾.
- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.
- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾.
- قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾.
- قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.
- قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.
- قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.
- قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾.
- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ومن هذه الآيات يمكن أن تستنبط الأمور التالية:

أولاً: أن صفات الله صفات ذات وهي ما لا تنفك عن الله بحال من الأحوال مثل الوجه، واليدين والسمع والبصر.

وصفات فعل تابعة لقدرته ومشيئته كالمجيء والإتيان والرضى والمكر بالكافرين والكيد لهم.

ثانياً: إننا لا نشتق لله اسماً إلا من كل صفة اشتق له اسماً منها فنشتق السميع من السمع والبصير من البصر ولكن لا نشتق من الإرادة

مريد ولا من المكر ماكر ولا من الكيد كائد لعدم ورود ذلك في كتاب الله وسنته.

ثالثاً: أن ما جاء من صفات الفعل مقيداً بسياق لم يطلق عليه مجرداً عنه فلا يقال يمكر ولكنه يقال يمكر بالكافرين ولا يقال يكيد ولكن يقال يكيد للكافرين.

رابعاً: أن ما انقسم معناه من الصفات فله منه معنى المدح وهو الذي ورد به القرآن وذلك كصفة الإرادة والكلام.

دلالة العقل على الإيمان بالأسماء والصفات:

أولاً: ما استقر في فطر الناس من أن الخالق أجل وأكبر وأعلم وأعلى وأكمل من كل شيء.

ثانياً: أن هذا الكمال إن كان وصفا في المخلوق فالخالق أولى به إذا هو موجد الكمال فلا يكون عارياً عنه وإن لم يتصف به المخلوق فإن فرض خلوه عنه فرض لنقصه بذاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثالثاً: أن هذا المعنى الكمالي إما أن يكون قديماً أو محدثاً فإن كان قديماً فهو صفة رب العالمين قطعاً وإن كان محدثاً فهو صفة المحدث قطعاً وخلو الباري عن كمال أوجده ممتنع إذ فاقد الشيء لا يعطيه.

رابعاً: أن يقال هذا الواجب القديم الخالق إما أن يكون ثبوت الكمال الذي لا نقص فيه الممكن الوجود ممكنا له وإما أن لا يكون والثاني ممتنع لأن هذا ممكن للموجود بنفسه قيوم بنفسه خالق بنفسه إلى غير ذلك من خصائصه والطريقة المعروفة في وجوب الوجود تقال في جميع هذه المعاني.

سادساً: امتناع اختصاص المفضول من كل وجه بكمال لا يثبت

للأفضل من كل وجه بل ما ثبت من ذلك للمفضول فالفاضل أحق به.

سابعاً: لأن ذلك الكمال استفاده المخلوق من الخالق والذي جعل غيره كاملاً هو أحق بالكمال فالذي جعل غيره قادراً أولى بالقدرة والذي علّم غيره أولى بالعلم والذي أحيا غيره أولى بالحياة.

ثامناً: أن يقال إن الموجودات نوعان نوع يقبل الاتصاف بالكمال كالحي ونوع لا يقبله كالجماد ومعلوم أن القابل للاتصاف بصفات الكمال أكمل مما لا يقبل ذلك وحينئذ فالرب إن لم يقبل لها يكون الحي القابل وهو الحيوان الأعمى الأصم الذي يقبل السمع والبصر أكمل منه فإن القابل للسمع والبصر في حال عدم ذلك أكمل ممن لا يقبل ذلك فكيف المتصف بها فلزم من ذلك أن يكون مسلوباً لصفات الكمال ممتنعاً عليه صفات الكمال.

تاسعاً: أنه لو لم يتصف بالكمال لاتّصف بضده وهو النقص وهو ممتنع في حق رب العالمين.

الركن الثاني
الإيمان بالملائكة

تعريفه: هو الإقرار الجازم بأن لله عباداً اختصهم بعبادته وخلقهم على طاعته أبدعهم من نور لا يعصونه فيما يأمر وبأمره يعملون وللإيمان بهم صفتان:

صفة تفصيلية: وهي التصديق بكل ما ذكره الله من أحوالهم على سبيل التفصيل فيما فصل من أسمائهم وأوصافهم ووظائفهم.

وصفة إجمالية: وهي مختصة بالتصديق بمن أجمل الله أحوالهم من الملائكة فلم يذكرهم معينين بأسماء أو أوصاف أو وظائف وهو أن له ملائكة غير ما فصل هم عباده وشغلهم عبادته لا يعصونه فيما أمرهم وبأمره يعملون.

صفات الملائكة:

١ - أنهم من نور لما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور».

٢ - أن مسكنهم السماء وينزلون منها بأمر الله لما روى أحمد والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا قال: فنزلت. قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾.

٣ - أن خلقهم متقدم على خلق الإنسان كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)﴾.

٤ - أن خواص البشر أفضل منهم كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٤)﴾.

٥ - أن طبيعتهم الطاعة التامة والخضوع والذل لله رب العالمين وذلك من جبلة خلقهم كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠)﴾.

٦ - أنهم متفاوتون في الخلق والقدرة كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾.

٧ - أنهم متفاضلون عند الله فأفضلهم هم رسله لانبيائه كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)﴾.

٨ - قدرتهم على التمثل بصور البشر كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)﴾.

٩ - أنهم يسبحون الله على الدوام ويعبدونه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)﴾.

١٠ - أن منهم من يحمل العرش كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

١١ ـ أنهم يسلمون على أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾.

١٢ ـ أن منهم من اختص بتعذيب أهل النار كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

١٣ ـ أن منهم من اختص بتنزيل الوحي وهو جبريل كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

١٤ ـ أن منهم من اختص بتدبير أمور الكون كإرسال الرياح وسوق السحاب وإنزال المطر وغيرها كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ وقال سبحانه: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾.

١٥ ـ أن منهم من وكل بقبض الأرواح كما في قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٦ ـ أن منهم من يكتب الأعمال ويحفظ البشر كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾. وقول سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.

١٧ ـ أن منهم من هو موكل بالجنين في بطن أمه كما في حديث «ثم يأمر الملك فينفخ فيه الروح». متفق عليه.

١٨ ـ ومنهم من يقوي وازع الخير في الناس كما في حديث «وأما لمة الملك فايعاز بالخير وتصديق بالحق فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله وليحمد الله».

١٩ ـ منهم من يحارب مع المؤمنين ويقاتل أهل الكفر قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

٢٠ ـ الدعاء للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ

حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾.

٢١ ـ تأمينهم مع المصلين كما في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة يقولون آمين وأن الإمام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه. رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

٢٢ ـ حضورهم الفجر والعصر من كل يوم كما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر».

٢٣ ـ أنهم ينزلون عند قراءة القرآن فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في بيدره إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أيضاً قال أسيد: فخشيت أن تطأني فإذا مثل الظله فوق رأسي فيها مثال السرح خرجت في الجو حتى ما أراها. فأخبر أسيد الرسول ﷺ فأخبره أنها الملائكة.

٢٤ ـ حضورهم حلق الذكر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أن الله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر».

٢٥ ـ صلاتهم على المؤمنين وخاصة أهل العلم كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «أن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ليصلون على معلم الناس الخير». رواه الترمذي وحسنه.

٢٦ ـ تثبيت المؤمنين كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٢٧ ـ منهم من يحي المؤمنين الصالحين عند قبض الأرواح كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾.

٢٨ ـ تبشير أهل الجنة بالجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

الأدلة على وجوب الإيمان بالملائكة:

منها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾.

وقوله ﷺ في جواب سؤال جبريل عن معنى الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى.

آثار الإيمان بالملائكة:

وله آثار عظيمة نجمل منها ما يلي:

١ ـ حصول الأمان للعبد في حياته عندما يعلم بحفظ الله له عن طريق ملائكته.

٢ ـ الصبر والاحتساب في الجهاد والتمسك بالحق لعلمه أن الله ينصره بملائكته أنه لا يسلمه إلى أعدائه.

٣ ـ معرفته لقدر نفسه في العباده وأن هناك من عباد الله من يقوم بحق العبودية أعظم منه.

٤ ـ زجر العبد عن المعصية لعلمه بوجود شهود عليه من الملائكة.

٥ ـ أن خرق العادات من شخص لا يعني استحقاقه فوق ما أعطاه الله فإن لله من العباد أعظم من ذلك الشخص.

الركن الثالث
الإيمان بالكتب

تعريفه:

وهو التصديق الجازم بأن لله كتباً كلها منزلة من عنده وأن الله تكلم بها حقيقة بصوته سبحانه وحرفه وأنها كلامه بألفاظها ومعانيها ليست بمخلوقه أنزلها الله بالحق المبين والهدى المستبين.

كيفية إنزالها:

أولاً: ما سمع منه تعالى بدون واسطه الملك من وراء حجاب كما حصل للنبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

ثانياً: ما كان عن طريق الملك كما في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾.

ثالثاً: أن يكتبه تعالى بيده كما في حديث «وكتب التوراة بيده».

كيفية الإيمان بالكتب:

للإيمان بالكتب كيفيتان:

الأولى: كيفية تفصيلية: وهي الإيمان بما ذكر الله في كتابه من كتبه المنزلة على رسله بأسماء الكتب وبأسماء الرسل التي أنزلت عليهم والأقوام التي أوجب الله إيمانهم بها.

الثانية: كيفية إجمالية: وهو التصديق بأن لله كتباً أخرى لم يذكرها بوصفها ولا اسمها هي كلامه ووحيه.

الأدلة على الإيمان بالكتب:

من القرآن:

- قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾.
- وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾.
- قوله جل شأنه: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾.

من السنة:

حديث جبريل المشهور قال ﷺ: «والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره». متفق عليه.

الكتب التي ورد اسمها في القرآن:

أولاً: التوارة وأنزلها على موسى قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ﴾.

ثانياً: الإنجيل الذي أنزل على عيسى قال تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦﴾.

ثالثاً: الزبور الذي أنزل على داود كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

رابعاً: صحف إبراهيم وموسى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

خامساً: القرآن الكريم وهو آخر الكتب المنزلة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

منزلة القرآن بين الكتب السماوية:

أنه أفضلها وأعظمها لذا فهو الذي تكفل الله بحفظه دون غيره كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾.

وجعله شاهداً لها ومصدقاً لما جاء فيها ومفصلاً لما أجمل فيها كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وأما غيره من الكتب فقد وكل حفظه للعلماء والحفاظ كما قال تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.

ولذا لما لم يقوموا بحق الحفظ حرفت كما قال تعالى: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾. وقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾.

لذا فإنه ناسخ للكتب قبله.

كيفية الإيمان بالقرآن:

هو التصديق بأنه كتاب الله المعجز بلفظه ومعناه نزل به الروح الأمين على نبينا ورسولنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين وأنه كلامه سبحانه بلفظه ومعناه تكلم به بصوته وحرفه منه بدأ تكلما وإليه يعود وصفه فهو صفته سبحانه سواء كان مكتوباً في الصحف أو مقروءاً بالألسن أو محفوظاً في السطور فإن ذلك لا يخرجه عن كونه كلام الله وأنه محفوظ من التحريف والتبديل والنقص والزيادة ناسخ لما قبله من الكتب منزل ليس بمخلوق وأن الأنامل والمداد والأقلام والأوراق مخلوقة.

الركن الرابع
الإيمـان بالـرسـل

تعريفه:

هو التصديق الجازم بأن الله قد بعث من الإنس رسلاً لأممهم وقد جاؤوهم بالهدى ودين الحق وقد بلغوا ما أمروا به ولم يكتموا منه شيئاً وأنهم صادقون فيما اخبروا به عن ربهم وأنه من الواجب اتباعهم وتصديقهم وأن محمداً ﷺ هو آخرهم وشريعته ناسخة لشرائعهم وأن بعضهم أفضل من بعض وأنهم دعوا الناس لعبادة الله وحده والكفر بالطاغوت كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾.

كيفية الإيمان بالرسل:

له كيفيتان:

أولاً تفصيلية: فيما فصل الله من أسمائهم وأقوامهم وكتبهم وقصصهم مع من أرسلوا إليه.

ثانياً إجمالية: في المجملات من أسمائهم وأوصافهم وأقوامهم وكتبهم كما قال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

الأدلة على الإيمان بالرسل:

من القرآن:

قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾.

وقوله جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾.

ومن السنة: حديث جبريل المشهور.

تعريف الرسول والنبي والفرق بينهما:

الرسول هو إنسان ذكر حر حيّ أمر بشرع وأمر بتبليغه.

والنبي هو إنسان ذكر حر حيّ أمر بشرع ولم يأمر بالتبليغ.

فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول فالرسول أخص من الأنبياء.

عدد الأنبياء والرسل:

(١٢٤) كما ورد في حديث رواه مسلم.

عدد الرسل الذين ذكروا في القرآن: وعددهم ٢٥ رسولاً.

ذكر الله منهم ثمانية عشر في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٦﴾.

وهم كما في الآية:

وذكر في آيات أخر سبعة وهي:

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٣﴾.

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ﴾.

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ﴾.

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ﴾.

وقوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦﴾.

وقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَۗ﴾.

وهم: ١ ـ هود ٢ ـ صالح ٣ ـ شعيب ٤ ـ آدم ٥ ـ إدريس ٦ ـ ذا الكفل ٧ ـ محمد خاتمهم صلى الله عليه وعليهم وسلم أجمعين.

أولوا العزم:

سمّوا بذلك لكمال صبرهم على ما حصل تجاههم من أقوامهم ولتجلي هذه الصفة فيهم أكثر من غيرهم من الرسل.

وهم على القول الراجح خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد ورد عددهم في موضعين:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾.

١ - إبراهيم.
٢ - إسحاق.
٣ - يعقوب.
٤ - نوح.
٥ - داود.
٦ - سليمان.
٧ - أيوب.
٨ - يوسف.
٩ - موسى.
١٠ - هارون.
١١ - زكريا.
١٢ - يحيى.
١٣ - عيسى.
١٤ - إلياس.
١٥ - إسماعيل.
١٦ - اليسع.
١٧ - يونس.
١٨ - لوطا.
١٩ - ذو الكفل.
٢٠ - أيوب.
٢١ - صالح.
٢٢ - عيسى.
٢٣ - شعيب.
٢٤ - آدم.
٢٥ - محمد.

وأفضلهم محمد ﷺ.

والأمم لم تخلوا من رسول كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾.

ثم أولوا العزم ثم سائر الأنبياء

وكما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

وأن رسالتهم واحدة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

موضوع الرسالة:

عبادة الله والكفر بما دونه من المعبودات والبشاره لمن عبده وكفر بالطاغوت بالنعيم ومن كفر بألوهيته وعبد غيره بالعذاب الأليم كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

ما يجوز للرسل وما لا يجوز لهم:

أولاً: التصديق لهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

ثانياً: ألّا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض فمن فعل ذلك فقد نقض تكذيبه تصديقه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾.

ثالثاً: أنهم أكمل الخلق علماً وصدقاً وخلقاً معصومون من الكبائر والكفر والشرك قبل البعثة وبعدها.

وأما الصغائر قسمان:

الصغائر الدنيئة معصومون منها.

الصغائر التي لا دناءة فيها فقد تحصل منهم ويلامون عليها. كما قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾. وقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾.

وهم معصومون في التبليغ بحيث لا يجوز أن يقر على شيء من الخطأ. كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾.

رابعاً: أنه بشر كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

ومنها أنهم يأكلون كما يأكل الناس قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾.

ومنها أنهم يتزوجون قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾.

ومنها أنهم يمرضون كما قال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

ومنها أنهم يموتون كما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ﴾.

خامساً: أنهم لا يعلمون الغيب قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

سادساً: أن الرسل رجال كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾.

صفات الرسل:

أولاً: الصدق في الخبر ولذا فنحن مأمورون بامتثال أمرهم واجتناب نهيهم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾.

ثانياً: التبليغ: فإنهم عليهم السلام قد بلغوا ما أرسلوا به على أكمل وجه وأتمه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾.

ثالثاً: الفطانة: وذلك بأن يكونوا أذكياء يدركون ما يحيط بهم من الأمور ويتصرفون فيها بعقل وحكمة وهي تتطلب قدرة على البيان والإقناع كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

رابعاً: الأمانة: بجميع ما يحمله معناها فهم أمينون على التبليغ وحقوق الناس وبإتقان العمل وصدق القول وغيرها من لوازم الرسالة كما قال ﷺ: «ألا تأمنون وأنا أمين من في السماء».

كيفية الإيمان بنبينا محمد ﷺ:

هو تصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه ورجز وأن لا يعبد الله إلا بما شرعه وأنه خاتم النبيين لا نبي بعده كما قال ﷺ: «أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي».

وأنه أفضل الرسل كما قال ﷺ: «أنا سيد بني آدم ولا فخر». ولكنه بعث إلى الناس كافة كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

وأن رسالته هي الرسالة الخاتمة ولا يحصل الإيمان بالرسل إلا بذلك.

الحكمة من إرسال الرسل:

ويتبين الغرض من إرسال الرسل من وجوه هي:

أولاً: عبادة الله وإقامة دينه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

وقوله جل شأنه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾.

ثانياً: معرفته سبحانه بما يجب له من صفات الكمال والجلال كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

ثالثاً: إعلام الناس بطريق الوصول إليه وهو ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾.

رابعاً: ليكون قدوة للناس في الحق والخير كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ لما صبروا». وقوله سبحانه: ﴿ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

النبوة ليست مكتسبه:

ومما ينبغي أن يعلم أن النبوة والرسالة اصطفاء من الله واختيار منه سبحانه لا تنال بكثرة العبادة والأعمال الصالحة. كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

الركن الخامس
الإيمان باليوم الآخر

تعريفه:

هو التصديق والإقرار والاعتراف الجازم بأن الله سيبعث من في القبور فيجزي المسيء باساءته والمحسن بإحسانه، وإن القيامة حق لا ريب فيها وما يتبع ذلك من الإيمان بأشراط الساعة وأمارتها التي تكون قبلها وما يتعلق بالموت والقبر وفتنته وعذابه ونعيمه وبالنفخ في الصور وما في الموقف من أهوال وتفاصيل المحشر ونشر الصحف ووضع الموازين والصراط والحوض والشفاعة وما بعد الحساب من الجنة ونعيمها والنار وعذابها وأنه سبحانه قد اختص بعلمها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾. وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾.

الأدلة على الإيمان باليوم الآخر:

منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾.

وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

وقوله جل جلاله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ﴾.

وقال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾.

وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾.

وقوله ﷺ في حديث جبريل: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اليوم الآخر وبالقدر خيره وشره».

وروى الإمام أحمد عن حذيفة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: «علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ولكن سأخبركم بمشارطها وما يكون بين يديها فتنة وهرجا» قالوا: يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج، قال: «بلسان الحبش القتل» قال: «ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحدهم يعرف أحداً».

أمارات الساعة:

وللساعة أمارات وعلامات وهي قسمان:

القسم الاول: **صغرى** وهذه قد مر الكثير منها، ومنها «أن تلد

الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» ومنها بعثته ﷺ كما قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى.

القسم الثاني: **وكبرى** وهي التي تكون قريبة وبين يدي الساعة كخروج المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم وخروج المهدي وطلوع الشمس من المغرب والدابة والنار التي تسوق النار إلى المحشر وغيرها ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾.

خطوات الانتقال من الدنيا إلى الآخرة:

أولاً: القيامة الصغرى وهي الموت كما قال ﷺ: «أن عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة». أي الموت. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ﴾.

ثانياً: القبر وفتنته وعذابه: ويدل عليه قوله ﷺ: «القبر روضه من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». وقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾.

وقوله جل وعلا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾.

وأن عذاب القبر على الروح والجسد.

ومما يدل على فتنته حديث «أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه

عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به معقداً في الجنة فيراهما جميعاً. قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره، ثم يرجع إلى حديث أنس قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» وحديث «أنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من البول».

ثالثاً: البعث وهو إخراج الناس من قبورهم لفصل القضاء كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾. وقوله: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾.

وحكم من أنكره الكفر كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧﴾. وقال تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾.

رابعاً: النفخ في الصور: وهو القرن الذي ينفخ إسرافيل فيه ميكائيل فتخرج من ثقوبه الأرواح وتخرج على صوته الأجساد وتدخل الأرواح فيها وينفخ فيه ثلاث مرات نفخة للصعق ونفخة البعث كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾. ونفخة الفزع كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾.

وفي حديث: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ودفع ليتا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطراً كأنه الطل أو قال الظل شك شعبة فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» رواه مسلم.

خامساً: الحشر وهو جمع الناس على صعيد واحد للحساب كما قال تعالى: ﴿بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾. وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾.

وصفته ما بينها ﷺ بقوله: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيهم النار تقيل معهم حيث قالوا: وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال: أليس الذي أمشاه على وجهه أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».

وقال ﷺ: «أنكم محشورون حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾.

سادساً: الموقف: وهو حال الناس في عرصات يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾.

وقوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾.

وصفته ما بينه ﷺ بقوله: «يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه». وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

وقال ﷺ: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذرعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم».

سابعاً: العرض والحساب فالعرض تقرير العبد المؤمن بما في صحف الأعمال والحساب هو المناقشة والمعاتبة عليها وبيان استحقاقه للجزاء عليها ويدل عليها قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

وروى أحمد وابن ماجه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات أما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله».

وقال ﷺ: «من نوقش الحساب عذب قالت عائشة رضي الله عنها أليس قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ قال ذلك العرض وفي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به فيقول: نعم فيقال له: «قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك». وفيه عن عدي بن حاتم قال: قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان فينظر بين يديه فلا يرى إلا النار وتلقاء وجهه فلا يرى إلا النار فاتقوا النار ولو بشق تمرة».

ثامناً: نشر الصحف وصفته: قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

وقال ﷺ: «يدنو المؤمن من ربه حتى يضع على كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا يقول: رب أعرف رب أعرف مرتين فيقول: أنا سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون أو الكفار فينادي على رؤوس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين». رواه البخاري عن صفوان بن محرز عن ابن عمر.

تاسعاً: الميزان وصفته: قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

قال ﷺ في ابن مسعود: «أتعجبون من دقة ساقيه والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد».

والموزون هو تارة الأعمال كما في قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وتارة الصحف كما ورد ذلك في حديث البطاقة وفيه أن الشهادتين ترجح بتسعين سجلا من السيئات كل سجل منها مد البصر».

وتارة يوزن الرجل كما في حديث «أنه يؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

عاشراً: الصراط وصفته: وهو الجسر المنصوب على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف يروغ كذنب الثعبان.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾.

وفي حديث: «يؤتين بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر قال: مدحضة مزله عليه خطاطيف وكلاليب حسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان يمر المؤمن عليها كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكبوب في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب. وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: بلغني أن الجسر أدق من الشعره وأحد من السيف.

الحادي عشر: القصاص وصفته وهو القضاء بين الناس في الحقوق.

كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾. وقال سبحانه: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقال ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء».

وقال ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيجلسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقضي لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة». رواه البخاري.

الثاني عشر: **الحوض**: وهو حوض النبي ﷺ من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ماءه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾.

وقال ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض».

وقال ﷺ: «حوض مسيرة شهر ماءه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً».

وهو ينبع من الكوثر كما قال ﷺ: «أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر».

الثالث عشر: الجنة والنار

كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

وقال ﷺ: «الجنة حق والنار حق».

فيجب التصديق بوجودهما وأنهما مخلوقتان باقيتان لا تفنيان أبداً وبما فيهما من النعيم والعذاب.

فدليل الوجود قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. في حق الجنة وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ في حق النار.

وقال ﷺ: «أطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء وأطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

ودليل بقائهما قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾. وقال سبحانه: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، وقال: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾. وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾. وقال: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ﴾ وقوله: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ﴾.

وأن المؤمنون يرون ربهم في الجنة كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾. وحديث «أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته».

الرابع عشر: الشفاعة: وهي طلب الأنبياء وغيرهم ممن رضي الله عنه من الله تخفيف الحساب أو إخراج أناس من المؤمنين استحقوا العذاب.

ولها شرطان:

رضى الله عن المشفوع ولا يرضى إلا أهل التوحيد. قال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾.

وأذنه لشافع كما قال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾. وقوله سبحانه: ﴿لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾.

ولا تطلب إلا من الله كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ ولا يملكها غيره كما قال تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾.

وأما المشركين فلا شفاعة لهم كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾. وقال سبحانه: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

والشفاعة سبعة أنواع:

أولاً: شفاعته ﷺ في أهل الموقف وهي الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود الذي أعطيه كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾.

وكما قال ﷺ: بعد أن يسجد تحت العرش ويحمد الله بما أفاض عليه من المحامد يقال له: «ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع».

ثانياً: الشفاعة في استفتاح باب الجنة فهو ﷺ أول من تفتح له وأمته أول الأمم دخولاً.

ثالثاً: الشفاعة في أناس قد أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها.

رابعاً: شفاعته لمن دخل النار من أهل التوحيد أن يخرجوا منها ويدخلوا الجنة بعد أن يغمسوا في ماء الحياة بعد أن امتحشوا.

خامساً: الشفاعة في رفع درجات بعض الناس من أهل الجنة.

السادسة: الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار كما ورد ذلك في حق عمه ﷺ أبي طالب بأن توضع له جمرة من النار في أخمص قدميه يغلي منهما دماغه.

السابعة: شفاعته في أهل الكبائر من أمته: وهذه الشفاعة المتقدمة الذكر بأنواعها تنقسم إلى قسمين:

أولاً: شفاعة عامة: وهي جميع أنواع الشفاعة ما عدا الأولى والسادسة والسابعة.

ثانياً: الشفاعة الخاصة: وهي الأولى والسادسة والسابعة.

«طريقة القرآن في إثبات البعث»

أولاً: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾. وقـــولـــه: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾.

ثانياً: الاستدلال بطريق ضرب الأمثال: ومنها ضرب المثل بالأرض الميتة كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

ومنها ضرب المثل بالشجر الأخضر كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

ثالثاً: الاستدلال بخلق السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾﴾.

رابعاً: استدلاله سبحانه باسمائه وصفاته كما في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾. وهـــو استدلال بحكمته.

الركن السادس
الإيمان بالقضاء والقدر

تعريفه:

القضاء يتناول كل ما حكم الله بوقوعه من الحوادث والأحوال والمخلوقات والقدر وقوعه موافقا لذلك القضاء.

والإيمان بهما يعني التصديق الجازم بأن الله قد سن لهذا الكون سننا لا بد أن يقع على وفقها بحسب ما هو ثابت في علم الله وتبعاً لمشيئته النافذة فلا يتأخر ما تعلقت به.

الأدلة الشرعية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

من القرآن:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾. وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾.

وقوله جل شأنه: ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾. وقوله: ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾.

وقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾.

ومن السنة:

ما رواه مسلم عن طاووس أنه قال: أدركت ناسا من أصحاب رسول الله يقولون: «كل شيء بقدر».

قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدرته ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له استخرج به من البخيل».

وقوله ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان».

وحديث جبريل المشهور أصل في ذلك وقال فيه ﷺ: «وتؤمن بالقدر خيره وشره».

درجات القدر ومراتبه:

للقدر درجتان:

الأولى: علمه بالأشياء ومشيئته النافذة.

الثانية: كتابته لها وخلقه لأفعال العباد وعليه فمراتب القدر أربع هي:

١ ـ علمه بما العباد فاعلون كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾. وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾. وقوله: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾.

٢ ـ كتابة المقادير في اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾. وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾. وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

ثالثاً: المشيئة النافذة التي لا تخرج عنها أفعال العباد كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. وقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ

إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. قـولـه: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

رابعاً: خلقه لافعال العباد كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾. وقـولـه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. وقـولـه سـبـحـانـه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

الإرادة لا تستلزم المراد مطلقاً:

إرادة الله نوعان:

شرعية وهي تتعلق بما يحبه الله ويرضاه.

كونية وهي تتعلق بالخلق والايجاد.

فمن الأولى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.

فالإرادة الكونية مستلزمة لحصول المراد ووقوعه.

والإرادة الشرعية لا تستلزم المراد فإن الله لا يريد الكفر دينا وشرعاً لكنه يقع كونا وقدر..

الشر لا يدخل في أفعال الله:

فإن أفعال الله خير محض كما قال ﷺ: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك» ولأن أفعاله سبحانه حكمة وعدل لكن يدخل في عموم المخلوقات وهو بهذا الاعتبار خير لأن الله لا يخلق شراً محضاً وإنما كان شراً بالنسبة للمخلوق فلا يدخل الشر لا في أفعال الله ولا في مفعولاته.

وإنما جاء الشر من أمور عدمية وهي عدم أسباب الخير.

القدر ليس حجة للكسل والتواكل:

فإن القدر يحتج به في باب المصائب وأما باب المعاصي فلا يجوز الاحتجاج بالقدر.

كما أن القدر لا يمنع العمل كما قال ﷺ: «ٱعملوا فكل ميسر لما خلق له».

فهو طريق للدفع لا للكسل والتواكل ولذا فإن النبي ﷺ لما سأله الأعرابي عن جمله هل أعقله وأتكل أو أتركه وأتكل فقال: اعقل واتكل».

ففعل الأسباب من القدر لأن الله قرن الأمور بأسبابها فلا ولد بلا زواج.

آثار الإيمان بالقضاء والقدر

أولاً: توليد الشجاعة في النفس لعلمه أن ما أصابه لا يخطؤه وأن ما أخطأه لا يصيبه.

ثانياً: الجد والدفع إلى العمل فإن من كانت هذه حالته لا يتقاعس ولا يتكاسل.

ثالثاً: الصبر واحتساب ما ينزل به من المصائب فإن ذلك من الله فلا يجزع ولا ييأس.

رابعاً: الزهد في الدنيا والحرص على الآخرة نظراً لأن كثرت الكد لا تزيد في الرزق وقلته لا تنقصه.

ما حكم الرضا بالقضاء أو المقضي:

إن فعل الله يجب الرضا به وأما المقضي فقد يكون الرضى به واجباً وقد يكون مستحباً وقد يكون محرماً فالواجب كالصلاة والصيام والمستحب كبقية الطاعات غير الواجبة والأمراض والمكروه كالرضا بالفقر وترك العمل والمرض وترك العلاج والمحرم كالصبر على المعصية والكفر والفسوق.

علاقة أركان الإيمان بعضها ببعض

أولاً:الإيمان بالله وعلاقته أن ما بعده من الأركان داخله فيما أخبر به سبحانه ولا يمكن أن يكون إيمان بالله إلا بالإيمان بما أخبر به كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾.

ثانياً: الإيمان بالملائكة وعلاقته أنه من خبر الله وخبر الرسول فيكون داخلاً في الإيمان بالله ورسله كما أن من الملائكة من ينزل بالوحي على الرسل ومنهم خزنة النار وحجاب الجنة وهو داخل في الإيمان باليوم الآخر كما أن ما يحصل من أقدار الله من خلق وإيجاد يحصل عن طريق الملائكة كما في حديث «ثم يؤمر الملك فيكتب رزقه وأجله وشقى أو سعيد». كما أنه عن طريقهم تحفظ نواميس الكون وسنن الخلق كما أنهم داخلون في خبر الله ورسوله.

ثالثاً: الإيمان بالرسل وعلاقته أن الكل داخل في خبر الرسل فيكون من الإيمان بهم كما أن الله قد أخبر عن رسله وتأييده لهم فيكون داخلاً في خبر الله وعن طريقهم يحصل التبليغ بوحي الله ويعرف طريق عبادته سبحانه والقدر واليوم الآخر داخل في أخبارهم وتبشيرهم وإنذارهم والكتب داخل في الإيمان بهم إذ هو الوحي المنزل عليهم.

رابعاً: الإيمان بالكتب وعلاقته أن الكتب وحي الله المنزل على رسله وهي كلام الله فهي داخلة في الإيمان بالله ورسله والقدر واليوم

الأخر داخلة في الإيمان بها إذ الكتب قد أخبرت عنها كما أن من طرق تنزيلها تنزيلها عن طريق الملك فيكون داخلاً في الإيمان بها.

خامساً: الإيمان باليوم الآخر وهي خبر الله وخبر رسوله وخبر الله هو وحيه المنزل على رسله في كتبه فيدخل في الإيمان بخزنة جهنم وحجاب الجنة فيكون الإيمان بالملائكة داخل فيه وهو واقع بقدر الله وقضائه الموعود الذي لا يتأخر كما أن انقسام الناس إلى شقى وسعيد بحسب ما يقع عليهم في الآخرة لأن كل عامل ميسر لما خلق له فإن كان من أهل الجنة يسر له عملها وإن كان من أهل النار يسر له عملها.

سادساً: الإيمان بالقدر وهو داخل في خبر الله ورسوله والإيمان بهما، كما أن جريان المقادير تحصل عن طريق الملائكة، والملائكة وأحوالهم داخلة في سنن الله الكونية واليوم الأخر هو بيان لحقيقة ما قدر مرئياً.

الركن الثاني
العمل الصالح

المراد به: هو كل ما كان خالصا لله موافقاً لشرعه فلا بد في العمل حتى يكون صالحاً من شرطين:

أولاً: الإخلاص لله بأن يبتغي به وجه الله كما قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». متفق عليه.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾.

وقال في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركته».

ثانياً: المتابعة للشرع بأن يكون العمل جارياً على أحكام الله ووفقاً لها.

كما قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد».

وقال ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله وكل ضلالة في النار». وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

وقال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

«أنواع العمل الصالح»

ويمكن حصر العمل الصالح في ثلاثة أنواع:

أولاً: أعمال القلب مثل الإخلاص لله والمحبة لله والخشية منه والتوكل عليه.

ثانياً: عمل اللسان مثل الذكر والحمد والتسبيح والتهليل.

ثالثاً: عمل الجوارح كالصدقة والصلاة والحج والزكاة واتباع الجنائز وزيارة المرضى ونحوها.

وعليه فالعمل الصالح يشمل جميع تصرفات العبد في حياته مع نفسه أو ربه أو الناس إذا كانت موافقة للشرع وخالصة لوجه الله.

الخاتمة

«علاقة العمل الصالح بالإيمان»

أولاً: أن ثمرته ومظهره الخارجي الدال عليه كما قال ﷺ: «أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهو القلب».

وقال عمر رضي الله عنه: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال».

وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾.

وقال جل وعلا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾.

ثانياً: أنه جزءه وركنه فإن الإيمان بني على ثلاثة أركان تكون حقيقته اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح.

ثالثاً: أن من الأعمال ما يكون تركه موجباً للكفر بالله كما قال ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر». وهكذا من جحد شيئاً من ضروريات الإيمان كالإيمان بالملائكة والكتب أو الرسل أو الحج أو الزكاة أو الصيام أو الصلاة.

رابعاً: أن الإيمان يزيد بكثر الأعمال الصالحة وينقص بنقصها كما قال ﷺ: الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله

إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

خامساً: أن من الإيمان بالله وبرسله وبما جاء به العمل به لذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على نبيه الأمين
وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه
د. إبراهيم بن محمد البريكان
كلية المعلمين في الدمام
قسم الدراسات الإسلامية
ص. ب (٢٣٧٥)

مراجع كتاب المقدمات في أصول الدين

١ ـ الإيمان: للدكتور محمد نعيم ياسين.

٢ ـ أعلام السنة المشهورة: للشيخ حافظ الحكمي.

٣ ـ الإيمان والحياة: للدكتور يوسف القرضاوي.

٤ ـ الإيمان: للدكتور حسن الترابي.

٥ ـ الإسلام: للشيخ سعيد حوى.

٦ ـ اقتضاء الصراط المستقيم.

٧ ـ تلبيس إبليس: للإمام ابن الجوزي.

٨ ـ التنبيهات اللطيفة: للشيخ عبد الرحمن السعدي.

٩ ـ التطور والثبات في حياة البشرية: للأستاذ محمد قطب.

١٠ ـ الثمار الشهية: للدكتور الهراس.

١١ ـ جاهلية القرن العشرين: للأستاذ محمد قطب.

١٢ ـ الروضة الندية شرح الواسطية: للشيخ زيد القياض.

١٣ ـ شرح الطحاوية: لأبي العز الحنفي.

١٤ ـ العقيدة الإسلامية: للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميدان.

١٥ ـ العقيدة الإسلامية: للسيد سابق.

١٦ ـ عقيدتنا: للشيخ عبد الله نعمة.

١٧ ـ الكواشف الجلية: للشيخ عبد العزيز السلمان.

١٨ ـ لوامع الأنوار البهية: للسفاريني.

١٩ ـ معارج القبول: للشيخ حافظ الحكمي.

٢٠ ـ مجموعة التوحيد.

محتوى كتاب المقدمات في أصول الدين

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الأدلة النقلية على الزيادة	٥٨
الأدلة العقلية على الزيادة	٥٩
الأدلة الفعلية على النقص	٦٠
الأدلة العقلية على النقص	٦١
أركان الإيمان	٦٢
الإيمان بالله	٦٣
أنـواعـه	٦٣
أولًا: الإيمان بربوبيته	٦٣
الأدلة النقلية ـ الأدلة القرآنية	٦٣
أولًا: دليل الخلق والإيجاد	٦٣
ثانياً: دليل التأمل والنظر	٦٤
ثالثاً: دليل الإتقان	٦٤
رابعاً: دليل التغير	٦٤
خامساً: دليل الإلزام العقلي	٦٤
الأدلة النبوية	٦٥
الأدلة العقلية	٦٥
الأدلة الفطرية	٦٦
ثانياً: الإيمان بالألوهية	٦٦
تعريفه إجمالًا وتفصيلًا	٦٦
الأدلة القرآنية	٦٧
طرق القرآن في الاحتجاج على الإيمان بالألوهية	٦٨
القسم الأول: الطريق الإجمالي	٦٨
القسم الثاني: الطريق التفصيلي	٧١
ضد الإيمان بالألوهية	٧١
أنواع الضد	٧١
الشرك في الألوهية وأقسامه	٧٢
النوع الثالث: من أنواع الإيمان بالله	٧٣
الإيمان بالأسماء والصفات	٧٣
أركان الإيمان بالأسماء والصفات	٧٣
طريقة القرآن في باب الأسماء والصفات	٧٣
طريقة القرآن في إثبات الإيمان بالأسماء والصفات	٧٥

الموضوع	الصفحة